DIGITAL PROPHECY
ضياء الدين خليفة
النبوءة الرقمية
KOTOPIA PUBLISHING HOUSE
كتوبيا للنشر والتوزيع
مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

وأعرف أنه تنويه غريب بعض الشيء ...

في الحقيقة هو غريب جدًا ...

ولكنك إن أردت الدقة.. قد تحتاج وأنت تقرأ هذه الرواية إلى آلة حاسبة برفقتك.

لكل كاتب شبح.. يتلبسه وقت الكتابة

# الفصل الأول بين واحد واثنين مسافة غير منتهية

## (١)

**الإسكندرية - مارس ٢٠٢١**

**مدفن الأرمن أرثوذكس بالشاطبي-الساعة الثالثة والربع بعد منتصف الليل.**

اقتحم صوت خطى حذائي هدوء هذا الشارع، وكأنه يتحدث إلى صفير الهواء النابع من ثقوب جدران المدافن.. ظلام دامس إلا من عمود الإنارة الأصفر الباهت، يصدر وميضًا مترددًا لا يزيدني ألا رعبًا من المكان.

لم يكن هناك قمر في السماء، وترد غيبته تلك النجوم الكثيفة عبر السحب، تتلألأ ببراعة وكأنها أعين الذئاب المتربصة.

أسوار المقابر عن اليمين وعن اليسار يعلوها الصلبان المتناثرة، فترسم لوحة فنية مع منظر السحب الكثيفة، وبين الصلبان تمثال أبيض لرجلٍ عارٍ وله أجنحة، يتكئ على ركبته اليسرى رافعًا جناحه الأيمن للسماء، رأسه للأعلى وتتلون درجات جسده مع وميض المصباح، أشعر بأن أعينه تتبعني، وكأنها تراقبني أو تحذرني بعدم الاقتراب، فأتجنب النظر نحوه وأمضي في طريقي.

على طول هذا الطريق كانت أشجار البوانسيانا الكثيفة تسقط أوراق ورودها الحمراء على الأرض بكثافة، وإن ظن بعضهم أن أوراق الورود علامة عن الرومانسية والجمال، فهو لم ير أبدًا هذا المشهد، مع الريح تتنفس الأوراق فترسم على مرمى البصر أشكالًا كظلال أشباح عابرة، أو وجوه أموات باهتة، الأحمر يبدو مع الظلام قاتمًا كئيبًا، وتكومت منه أكوام انغرست قدمي فيها، فأشعر وكأن أيدي الموتي من داخلها تحاول التشبث بي، فإما أن تسحبني معها أو تخرج متعلقة بي بنصف أجساد بالية، هكذا خيل إلي في كل خطوة، فأصبحت أجري وأقفز من فوقها خوفًا من لمسها.

أحمد الله أن لا أحد يراني هنا في هذا الطريق، ولو رأوني على هذا الحال لضحكوا على حالي، شاب في مثل سني يخاف من مجموعة أوراق أشجار؟ ولكن لا أحد يبصر ما أبصره أو يشعر بمثل ما أشعر، هكذا أنا منذ طفولتي أتوهم أشباحًا وخيالات، تناوبت على الأطباء، وتناولت العقاقير، أُصِبت بنوبات قلبية، وخلل في عصب عيني اليمنى جعلها منغلقة قليلًا عن أختها، وهي واضحة في وجهي حتى اليوم، رغم أنني تخلصت من أغلب المخاوف والخيالات، ولكن اللعنة على تلك البدلة الغبية التي كانت سببًا في مجيئي إلى هنا في مثل هذا الوقت، فأعادت الذكريات مرة أخرى، والدي عاجز مبتور الأرجل، يعمل مكوجي بمحل صغير يملكه، وأنا طالب بكلية الهندسة القريبة جدًا من هنا، والقريبة من بيتنا أيضًا ومحل والدي بالإبراهيمية، عادة هذه الطلبات يوصلها الصبي الذي يعمل معه، ولكن صاحب البدلة في عجلة من أمره لأنه سيسافر بعد قليل، وليس هذا وقت عمل الصبي، وأنا لا أحب أن أرفض لوالدي طلبًا، الذي أيقظني من نومي وكلّفني بتوصيلها.

لا زلت أشعر بزفير الموتى الوافد من المقابر، كأن أرواحهم ما زالت تحلّق في المكان.. تهددني بأنني انتهكت حرمتها وأزعجت نومها، ولكني أبدد هذه الأفكار من رأسي، اطمئن.. فات الكثير، وبقي من الطريق أقل مما مضى، وجعلت أنظر للأسفل وأسرع في خطاي لعلني أبلغ نهايته، ولكن فجأة توقف قلبي وتصلبت في مكاني، عندما مرت سيارة مسرعة فأصدرت ضجيجًا صارمًا كأنها شبح جاء ليبتلعني، صرخت ولعنت العابر في نفسي أبًا وأمًا وأهلًا، وقفت أتناول أنفاسي، ومضيت أكمل ما بقي بجسد هربت منه الدماء.

زلفت أقدامي أمام البوابة الحديدية للمقابر، فإذا بي ألمح عبر فراغاتها تلك الكلاب اللعينة التي قد بدأت تنبح من الداخل..

لم أكن في حالة تسمح لي بالملاحظة أبدًا، ولكن ما رأيته حقًا يلفت الانتباه.

إن الكلاب التي تنبح لم تكن تنظر إليّ، بل تقف في الظلام بداخل المقابر وتنظر إلي الناحية الأخرى وكأن شيء آخر يناكدها، حاولت التركيز إلى ما تنظر إليه الكلاب، خلعت نظارتي ودعكت عيني وارتديتها مرة أخرى، قليلًا حتى استقبلت عيني الضوء النابع من الظلام، وبدأت عيني اليمنى ترتعد رعبًا، رأيت جسدًا باهت الملامح لشخص يقف بعيدًا بين الضباب، أقسم أنه ينظر نحوي، يتربص بي، ولا يعتني بالكلاب التي تنبح عليه، ثم حدث

شيء أقرب إلى الخيال، جعل هذا الرجل يتحرك متقدمًا، ثم عبر الكلاب متجهًا نحوي، لم يعبر من جوار الكلاب، بل عبر من خلالها كأنه طيف لعين، ازدادت الكلاب من هياجها ونباحها، وجعلت تقفز وتدور وتتبعه بأعينها، ذهلت، وقررت أن أركض بعيدًا، ولكنّي فقدت توازني فتعرقلت، وسقطت على أكوام الورد حتى أكلتني مثل هاوية سوداء، ولم أشعر بشيء بعدها.

***

وأمر الخالق الملائكة ليأتونه بقبضة من أديم الأرض من مختلف الأركان، ومنها سوّى آدم وشكّله من صلصال كالفخار، وكان آدم لم يزل طينًا لدنًا لم ينفخ فيه الله من روحه، وكان الملائكة هناك يشاهدون العجب بأعينهم، وكان بينهم الميتاترون، عبقري الملائكة، الذي لا تعرف طبيعته حدود الزمان ولا المكان، والذي لا يتكلم ولا يعبّر إلا بأحاجي من أرقام، فكان أعقد من أن يفهمه إنس ولا جان، فاختلفوا في أصله ونوعه وهيئته، وإنما هو ليس إلا معجزة إلهية مكنونة بينهم، وأراد الميتاترون أن يكتب للإنسان على كفّه تاريخه ومصيره قبل خلقه، فخطّ على يمينه «١٨» وعلى يساره «٨١» وكانت علامة توارثتها الأجيال من بعده.

***

# (٢)

فتحت عيني في وهن، وبدأ الوعي يتسلل إلى عقلي رويدًا، وجعلت أنظر إلى المكان من حولي، حينها تنبهت بأن شيء غير طبيعي، فانتفضت من مكاني، وجعل جسدي يضخ الأدرينالين في دمي، لقد وجدت نفسي في مكان يشبه القصر، مهجور وكأن لم تطأه قدم منذ عشرات السنين، الليل قاتم، ويضيء المكان بعض من الشموع، التي لاحظت أنها موضوعة على شمعدان من النحاس سباعي الأذرع اشتهر كرمز لليهود، مكتبة زاخرة بكتب ومجلدات عن اليهود والتوراة، كتبت بالعبرية والعربية والإنجليزية، مغطاة بكم رهيب من الأتربة، وكأن لم يمسسها بشر منذ سنوات، وعلى الحوائط المنقوشة براويز للوحات فنية يغلّفها خيوط العنكبوت، التي بنت من خيوطها مدنًا وقرى حول أركان المكان.

كانت هناك لوحة كبيرة لمجموعة أحصنة لها أعين شديدة السواد تلقي في النفس إحساسًا بالجزع، ولوحة أخرى لرجل عار يقف بداخل دائرة ويبدو وكأن له أربعة أرجل وأربعة أذرع، وهي لوحة شهيرة لدافنشي تدعى الرجل الفيتروفي، وهناك تمثال نحاسي ضخم في منتصف الصالة لحصان يرفع قدميه الأماميتين وطوله يصل لمترين، راسخ أمامي وكأنه سينقض عليّ بغتة إذا غفلت، لهذا المكان رهبة وروح قابضة، إلا من نسيم فاتر يتسلل من نافذة مفتوحة قريبة، يتضح أنها فتحت حديثًا بعد سنوات من الانغلاق، للنافذة أعمدة حديدية تظهر من خلالها أشجار كثيفة الأوراق يتدفق من بينها ظلام عميق مثل ثقوب سوداء، سور عال حول البيت، وهدوء رهيب ينبع من خلفه، وجعلت أتساءل في نفسي ما الذي جاء بي إلى هنا؟

أنفاسي متلاحقة، وجسدي يرتعد، عيني اليمنى تطرف، تدمع، وتنغلق على نفسها، آخر ما أذكره هو الخيالات التي رأيتها عند المقابر، حتى أنني عثرت على البدلة التي كنت أحملها، هل أمشي وأنا نائم؟ أم هو كابوس من كوابيسي المزعجة؟ أتمنى ذلك، وتمنيت أكثر أن أستيقظ منه حالًا، لكنني أعرف في قرارة نفسي أنه ليس منامًا على الإطلاق، أخرجت هاتفي لأتصل بأحد، ولكنه لا إشارة، فاقتربت من النافذة ولا شيء، كيف جئت إلى هنا؟!! تنازعت أفكاري، وجعلت ألجأ إلى المنطق، كل شيء له سبب، ولابد أن هناك تفسير واضح لوجودي هنا..

اهدأ يا طاهر!.. تناول أنفاسك.. شهيق زفير شهيق.. حاول أن تستجمع قواك... تستوعب

الموقف... وكن مستعدًا لأي شيء مباغت... لأن أي موقف يحدث الآن سيوقف قلبي كالقطر إذا اصطدم بالجبل، عليك أن تخرج من هنا حالا.. هناك باب كبير موصد، لابد أنه باب الخروج، حاولت فتحه فكان بالطبع مغلقًا، جعلت أضرب عليه، أطرق وأصرخ وأنادي «مَن هُنا؟.. أأحد هنا؟!» ولم يجبني سوى صدى صوتي، ولم أكن أتوقع إجابة سواه.

جعلت أتفحص المكان باحثًا عن مخرج آخر، للبيت صالة واسعة عالية السقف ونقوشها تزيد من رعب القلوب رعبًا، أعمدة رخامية وسلّم لطابق تعددت الغرف أعلاه، تملأ الصالة نوافذ خشبية طويلة، ولكن لها قضبان حديدية تمنع الدخول أو الخروج، إلا إذا كنت قط يبحث عن بيت أشباح مهجور، لكن أحد النوافذ كانت قضبانها واسعة بعض الشيء، ربما أعبر من خلالها إذا حاولت بِمَ أنني نحيف قليلًا، ولكن أفرع الشجرة المظلمة كانت تأكل الرؤية، أعرف أن الأرض من هنا ليست بعيدة، نصف طابق تقريبًا، ولكنّي لا أرى بالأسفل، قد أسقط على أفرع شجرة حادة، سأجعله خيارًا بديلًا إن لم أجد مخرجًا آخر، لاحظت ضوءًا ينبعث من الأعلى، فأخذت درج السلم صعودًا بحذر شديد، وقبل أن أبلغ آخره سمعت صوت شيء يرتطم بالأرض، انتبهت واتخذت حذري، تمنيت أن تكون قطة، ولكن بالتأكيد من حملني إلى هنا ليست قطة لعينة، لاحظت باب أحد الغرف كان مواربًا، يتسلل منه الضوء إلى الخارج فيرسم على الأرض مستطيلًا من نور يطول حتى أطراف أقدامي، وجعلت أقترب رويدًا، أشعر بحركة في الداخل، سابقت دقات قلبي نفسها وحطمت أرقامها القياسية، وضعت كفي على قلبي وحاولت أن أنظم أنفاسي، تمتمت ما حفظت من آيات وأدعية، مسحت نظارتي في ثيابي ونظرت بحذر إلى الداخل، فكان شيئًا يفوق الخيال.

فتاة كأنها في مطلع العشرين، جميلة جدًا، لابد أنها جنّية، تجلس أمام مرآة قديمة، تعطيني ظهرها، تصفف شعرها الذي لا يحتاج أبدًا إلى تصفيف، بني فاتح كقهوة بالحليب، ولون فستانها كالياسمين الأزرق، يليق مع بشرتها البيضاء، جميلة وجمالها يرعبني، وقفت مشدوهًا لدقيقة، حينها دوى رنين هاتفي بصوت جهور، لابد أنه التقط شبكة بالأعلى فوصلتني بعض الرسائل، نظرت الفتاة تجاهي بغتة وفي فزع، سقط قلبي حينها، هرعت وركضت هاربًا، قفزت بصعوبة بالغة عبر النافذة من بين الحديد، جرحت ذراعي وكتفي، وسقطت فوق فروع الشجر والصخور الحادة فملأت جسدي الجروح ومزقت ثيابي ولطخت بالدماء، ولكنّي خرجت أخيرًا ولا شيء آخر يهم، قفزت من فوق البوابة العالية، ووجدت نفسي في منطقة هادئة شبه فارغة من العابرين، خيرًا أنني لا زلت في الإسكندرية، عرفت هذا من رائحة النسيم وأرقام السيارات الساكنة، لابد أنها أحد المناطق الراقية، كانت السماء

تبدد غسقها بنسيج من ضوء خافت، لابد أنه الشروق، وكان طريق البحر قريبًا، أشعر بذلك، في الإسكندرية لا أحد يفقد طريقه، فقط عليك أن تصل إلى البحر حتى تعرف أين أنت وإلى أين تذهب، أعتقد أني في أحد الشوارع الجانبية لمنطقة جليم، أخذت طريقي عدوًا نحو الكورنيش، هنا ظهرت ملامح الحياة، السيارات العابرة، والذين يبدأون صباح يومهم بالجري مع نسيم البحر وأنغام أمواجه، جعل الجميع يتفقدون حالتي المزرية، لم أعبأ بنظراتهم، نظرت باتجاه البحر وأغمضت عيني، استنشقت من نسيمه أنفاسًا كان مفعولها كالسحر يثلج صدري، استدرت فأوقفت أول سيارة أجرة أقابلها.

**- الإبراهيمية لو سمحت.**

***

# (٣)

**الإسكندرية - ٢٣٠ قبل الميلاد**

ليس هناك أجمل من هذا الغروب، الشمس تتوهج بلونها الخمري على خط التقاء البحر بالسماء، وعلى خط التقاء البحر برمال الشاطئ كانت أقدام هذا العالِم العظيم، تلامس الأمواج أطراف عباءته فتحفلها بماء بارد، ويداعب النسيم شعره ولحيته الطويلة، يقف لساعات متأملًا تلك السفينة الغاربة، التي تحمل على متنها أحد أنجب تلامذته على الإطلاق، ترسم بشراعها العالي ظلًا أسود أمام قرص الشمس ذي الأشعة الموردة، لوحة يلتقي فيها إبداع الطبيعة بما أبدعه الإنسان، هنا عند منهل العلم ومنبت العلماء.. الإسكندرية.

هذا العجوز الحكيم قضي حياته يتأمل الكون محاولا فك شفرته وتفسير ظواهره بمجموعة من أرقام، عاش متأثرًا بالحضارة المصرية وإبداعهم في الحساب وفنون البناء وعبقريتهم في الهندسة، فلقّب بأبي الهندسة، وأول من جمع أصولها في كتاب، ثم نهل من علمه وأسراره وأعطاها لهذا الشاب الألمعي على السفينة المتجهة نحو سيراقوسة، مدينته وموطنه الذي يعود إليه اليوم بعد أن تشرّب عقله وتشبع من الأسرار والمعرفة، ليكون التلميذ الذي سيغلب أستاذه العظيم، ويثري بلاده على مدار أعوام بمجموعة من أهم الاختراعات والنظريات، هذا الحكيم المتأمل على شاطئ الإسكندرية يدعى «إقليدس»، وذلك التلميذ على السفينة يدعى» أرخميدس».

ثم يمر عقدان، يموت خلالهما إقليدس، ويأتي يوم على سيراقوسة لم يبدأ أبدًا مثلما انتهى، كانت أصوات النورس تملأ نقاء السماء، ومراكب الصيد الصغيرة على الشاطئ تتمايل متراقصة إذا زارها موج البحر الهادئ، يتخلل النسيم أروقة المدينة الضيقة وبيوتها الصغيرة، فتتهلل له الثياب والأقمشة المعلقة أمام النوافذ، الشمس فوق المدينة بردًا وسلامًا، كل شيء هادئ هنا، ولكن ذلك لن يدوم طويلًا، عندما ظهرت هامة شراع لسفينة في الأفق البعيد، تقترب رويدًا، ويظهر بدنها تدريجًا فوق البحر، ثم تظهر من خلفها سفينة أخرى، وأخرى، وأخرى، عشرات السفن تدنو من سيراقوسة، أسطول كامل فزع منظره حتّى طيور النورس فحلّقت هاربه، ولم يمض وقت طويل حتى لاحظ أحد الصيادين، فعاد مسرعًا نحو الشاطئ وبدأ الصراخ، فملأ المدينة جلبًا..

- جيش الروم قادم... جيش الروم قادم.

انقلبت المدينة رأسًا على عقب، اشتعلت الحرائق، وتناثرت الدماء، الرجال تحارب، النساء تصرخ، والأطفال تبكي، ولكن أحد البيوت في منتصف المدينة لم يزل يحتفظ بهدوئه، وهو بيت أرخميدس، بالداخل رجل عجوز أصلع، له شارب ولحية طويلة، بيضاء الشعر غير مهندمة، كان في حاله يرقص ويرسم ويغني، لا يبالي بالحرائق والصراخ وصليل السيوف بالخارج، لا يشعر بشيء أصلا، ليس لضعف في السمع، بل لأنه كان في أقصى لحظات تجليه، وفي أشد التركيز لما يفعل، يحمل بيده فرجارًا، يرسم دوائر ويقيسها، يكتب معادلات وخطوطًا وأرقامًا، ومع كل رقم جديد يكتبه يرقص ويتهلل فرحًا، وبالقرب من البيت كانت فرقة الجنود ومعهم قائد الأسطول يبحثون عن هذا الرجل، نفس السؤال يسألونه لكل ساكن يقابلهم:

- أين بيت أرخميدس؟

فمن أجاب تركوه، ومن لم يجب قتلوه، وكان أول من بلغ البيت واحد من جنود الروم، ضرب الباب بقدمه فانفتح، لم يفزع العالم العبقري، ولم ينظر حتى تجاهه، كان يحسب معادلة في أشد التعقيد، يستجمع كل تركيزه حتى يخرج بناتج دقيق، رفع الجندي سيفه، وقال مهددًا:

- اتبعني حالًا لمقابلة القائد مارسيلوس وإلا قتلتك.

لم يجب، لم يعتنِ ولم يسمع ولم ينظر حتى نحوه، كانت حدقته متسعةً في أشد الذهول من استنتاجاته التي كاد يكملها، لو كان إقليدس هنا لكان فخورًا به، جعل يكتب ويرسم دوائره ومنحنياته.. شعر الجندي بغضب شديد تجاه هذا الرجل الذي لا يعتني به ولا بالحرب الدائرة، شعر بإهانة كبيرة، فثار، وغضب، وضرب ما كان يكتب عليه، ومسح ما كان يرسمه من دوائر على الرمال، حينها انتبه أرخميدس في ذهول، وقال بنبرة تحذيرية هادئة:

- من فضلك... لا تفسد دوائري!

نظر له الجندي مشدوهًا، ولم يستطع أن يتمالك أعصابه، فكان منه أن طعنه طعنة غاضبة أسقطته على الفور غارقًا في دمائه.

لمّا دخل قائد الحملة فوجئ بمصرع أرخميدس، فغضب أشد الغضب، وأمر بمعاقبة الجندي على الفور، لقد قتل هذا الغبي للتو أحد أعظم العقول في التاريخ، ومات معه سر المعادلة الكبرى التي طالما صدق بوجودها وسعي من أجلها علماء وملوك وممالك، ولن يمر زمن قصير حتى يأتي عالم آخر بحل لهذا اللغز.

***

## (٤)

**الإبراهيمية - مارس ٢٠٢١**

لا بد أن والدي في أشد القلق عليّ، لقد حاول الاتصال بي عشرات المرات، أتمنى أن يكون نائمًا حتى لا يراني على هذا الحال، هندمت ثيابي قدر المستطاع، أخرجت المفاتيح في هدوء وفتحت الباب محاولًا ألا أصدر أي صوت، ولما فتحت -وكما توقعت- وجدته على كرسيه المتحرك يجلس أمام الباب، يبكي ودمعه على خده، يسألني بقلق شديد:

**- طاهر! أين كنت يا بني؟ اتصلت بك مائة مرة، لم تجب، ثم انغلق هاتفك، اتصلت بصاحب البدلة وهو أيضًا لا يجيب، كدت أموت من الخوف عليك، وما هذا؟ !!.. ما الذي فعل بك ذلك؟! كيف مزقت ثيابك؟ هل تعرضت للسرقة؟ هل أنت بخير؟**

اقتربت منه، قبلت رأسه وعانقته:

**- لا تقلق يا حاج صابر، أنا بخير يا والدي.**

**- كيف لا أقلق، وهل لي سواك؟ أخبرني ما الذي حدث.**

**- سأحكي لك كل شيء، ولكن اتركني قليلا لأستحم وأغير ثيابي.**

حاولت أن أتأخر عليه كي ينام، ولكنه لم يغفل، قبل أذان الظهر عليّ أن أحمله وأنزله إلى المحل، نقطن بالطابق الأول، ومحل والدي يقع تمامًا بالأسفل في نفس هذا البيت، خرجت له لما جاء موعد فتح المحل وزارنا الصبي الذي يعمل معه، سألني والدي.

**- ألن تخبرني ما الذي حدث؟**

**- لنجعل هذا آخر اليوم، عليك أن تنزل الآن، وأنا سأنام قليلًا.**

وبالطبع لم يزرني النوم أبدًا، وجعلت أبحث على تفسير عما حدث، ربما ما رأيته عند المقابر كان خيالات مثل الخيالات التي كنت أراها في طفولتي، ولكن كيف لخيالات أن تحملني من الشاطبي إلى جليم وهي مسافة ليست بقصيرة؟ ما هذا المكان الذي وجدت نفسي فيه؟! من الذي وضعني هناك وأغلق الباب؟! من تلك الفتاة الجميلة؟!! هل هو طبيعي أن يستيقظ أحدهم ليجد نفسه في بيت غريب؟! ازدحمت الأفكار في رأسي، حاولت أن أذاكر، أن أقرأ كتابًا، أن أشاهد بعض الأفلام، أن أفعل أي شيء ينسيني ما حدث، ولكن لا شيء يبدد الأفكار المتزاحمة في رأسي والبحث عن أي تفسير، وقفت لساعات في شرفة البيت، ووقعت عيني على هذا البيت المتهدم المهجور أمامنا، في الإسكندرية العديد من البيوت المهجورة، ربما كانت مصايف أو مساكن لعائلات لم يعد لها قيمة عندهم فصارت مساكن للأشباح، أبي لا يصدق بالأشباح، ويقول أن هذه خيالات يراها الإنسان وتنبع من مخاوفه، ونحن نقطن في زقاق ضيق قليل المارة، وهذا البيت المهجور أمامنا مباشرة يبدو قريبًا جدًا من النافذة، لطالما رأيت أشياءً غريبة تتحرك داخله، ولكن كلها خيالات أطفال تبددت منذ سنوات، فما تفسير ما حدث بالأمس؟

أعرف الكثير من الأصدقاء، ولكن كلّهم صداقات عابرة، ليس فيهم من أحكي معه عن أسراري ونتحاور لساعات، لا أمتلك الكاريزما، ولا أتقن المجاملات، يكفيني والدي وتشغلني مراعاته عن أي وقت فراغ، ولكني أحب أن أحكي أسراري إلى الأوراق، وأن أقرأ من الكتب أسرارها.

طاهر صابر عبد الملك، هذا هو اسمي الذي لم أخبركم به، أتممت العشرين، وبعد أقل من ثلاثة أشهر سأتمم الواحد والعشرين، وتحديدًا في السادس من يونيه، أنا طالب بكلية الهندسة، هذه الكلية القريبة من البيت كانت حلمي وحلم والدي الذي حققته له، أما والدتي.. فلم أرها قط، تعرض كلاهما وأنا رضيع إلى حادث قطار أليم، توفيت فيه والدتي وقطعت أرجل والدي، كنت يومها عند جدتي رحمها الله، وذلك هو اليوم الوحيد الذي أشعر أنني كنت محظوظ فيه في حياتي، أحببت الكثير من الفتيات، ولكن لم أعترف لأي منهم، لست إلا مجرد شخص عابر في حياتهم، ومن التي تحب شخصًا مثلي؟! نحيف بنظارة وعنده عين أضيق من الثانية، شاب خالط شعره الشيب وتناثرت في رأسه خصيلات بيضاء قبل عشرينه، جعلت أفكر حتى ساد الظلام، ورسمت النجوم أبراجها بريشة من نور، ذلك ولم أزل في مكاني أتامل وأفكر فيما حدث، وكيف حدث، حتى سمعت صوت والدي فقزعتني:

**- طاهر!**

نظرت فوجدته بغرفتي على مقعده ومن خلفه الصبي الذي يعمل معه، شكره والدي على مساعدته في صعود الدرج ثم رحل وبقينا أنا وأبي سويًا، قال:

**- هيا أخبرني ما حدث!**

كان يرمقني، وجعلت أنظر إليه وأفكر، وجهه الشقي المجعد، شاربه الأبيض ولحيته، وكأن كل ملمح فيه يملأه الفضول، هل أخبره بما حدث؟ سأخبره.. لِم لا؟! علي أن أخبر أحدًا، ربما أجد عنده تفسير، قد ينفجر عقلي إن التزمت الصمت أكثر من ذلك، فما الفائدة من الكتمان؟!

**- حسنًا يا والدي، سأحكي لك القصة كاملة.**

وجلست إلى جواره، وأخذني الحديث فقصصت له كل شيء بالتفصيل، وكان ينصت في أشد الصمت وغاية الاهتمام، لم يقاطعني، فقط تتبدل ملامحه بين الدهشة والحيرة، حسبت أنني لقا أحكي له سأرتاح، قد أجد عنده تفسيرًا.. أو في أقل الاحتمالات سيواسيني، ولكن رد الفعل الذي وجدته كان بقدر غرابة الموقف.. بل أكثر غرابة!! سأل بتعجب:

**- أخبرني مرة أخرى مكان تلك الفيلا!**

**- أظن أنها كانت في أحد الشوارع الجانبية لمنطقة جليم.**

وأجاب بنبرة حادة يملأها الغضب:

**- إياك أن تقرب ناحية هذه المنطقة مرة أخرى، هل تسمع؟! لا تقترب من هذه الفيلا مهما بلغت الأسباب!**

رد فعله كان صدمة غير متوقعة! لا تقرب الفيلا! هذا كل شيء!!

**- أخبرك أنني وجدت نفسي هناك. هل هذا هو تعقيبك على ما حدث؟! ما قصة هذه**

**- انتهى النقاش في هذا الموضوع. لا تجعلني أحتجزك في غرفتك وأمنعك حتى من الذهاب إلى الجامعة.. هل سمعت؟! أياك أن تقرب هذه المنطقة.**

ثم أدار كرسيه وخرج من الباب بهدوء، وتركني فاغر الفاه في مكاني لوقت طويل، كيف يحدث ذلك؟!! أين المنطق من كل ما حدث؟ ملأت ذهني التساؤلات، حسبت أنني إذا حكيت له يرتاح بالي قليلًا، فلمّا فعلت ضاعف من ربوة حيرتي أتلالًا، ما قصة هذه الفيلا؟!! ولماذا ينهاني عنها دون حتى أن يعقب أو يطرح تساؤلًا عن أي شيء آخر؟ هل هي فيلا مسكونة مليئة بالأشباح؟ إن أبي آخر من يصدق أو يخاف من هذه الأشياء، أعرفه جيدًا، لو القضية جن وعفاريت لم يكن ليفعل مثل ما فعل، فماذا قد يكون؟!! سينفجر عقلي، خرجت أحدّثه مرة أخرى فكان نائمًا، وبقيت على حالي حتى مطلع الفجر، لمّا استيقظ ليصلي الفجر وقفت إلى جواره منتظرًا حتى انتهى، نظر لي بعين يملؤها الحزن، قلت:

**- ما قصة الفيلا؟ لم يزرني النوم من الخوف وكثرة التفكير.**

وأجاب بملامح يملؤها يأس وحزن:

**- اجلس يا بني. سأحكي لك كل شيء.**

لمّا قال تنفست الصعداء، جلست على مقعد قريب، وجعلت أسمع باهتمام شديد.

**- بعد حرب ٧٣ هاجر أغلب اليهود الذين كانوا يعيشون في مصر ولم يبق منهم الكثير، وعدد قليل جدًا منهم عاش في الإسكندرية ولم يخرج منها، كانوا يعيشون في حالهم لا يسمع أحد عنهم شيئًا، ولا علاقة لهم بما كان يحدث في فلسطين، يحبون مصر ويرفضون تركها. لمّا كنت في شبابي أحببت فتاة من عائلة يهودية غنية جدًا، كانت جميلة، رقيقة مثل فراشة، وأحبتني كثيرًا، وقفت ضد أهلها من أجل أن نتزوج، قصة حب مثل القصص الكلاسيكية القديمة، كنت أعمل مرشدًا سياحيًا بمتحف المجوهرات الملكية، أتكلم عن المجوهرات ولا يحق لي أن ألمسها، ولكن مع هذه الفتاة قررت أن أكسر القاعدة، كانت بيننا حواجز كثيرة، هي غنية وأنا فقير، هي يهودية وأنا مسلم، وفي**

أكثر وقت يعتبر الناس فيه اليهود أعداء، كانت تعيش مع أسرتها في هذه الفيلا بالعنوان الذي وصفته، وكان لها أخ وحيد، ولكن أصبح يأتيهم الكثير من التهديدات، كنوع من بعض التنظيمات لمقاومة ما يحدث من جرائم حرب ضد فلسطين، وذات يوم حدث أمام بوابة الفيلا انفجار كبير، حينها قررت الأسرة السفر إلى إسرائيل بلا رجعة هروبًا من التهديدات المتكررة، ولكن رفضت الفتاة، ظلت تبكي لأيام، أرادت أن تبقى هنا، أن نتزوج أنا وهي ونعيش سويًا، حاولت أن تقنع أباها أنها إذا بقيت وتزوجتني ستتوقف عنها التهديدات، ولكن أبوها رفض بشدة، وأرغمها على..

ثم تنفس الصعداء، ورأيت الدمع يملأ مقلتيه، ونظر إليّ في عيني، ومسح عينه وأنفه وأردف:

- وأرغمها على السفر. وبعد أكثر من عام سمعت باب بيتنا يدق، ولما فتحت رأيتها تقف أمامي، لقد عادت مرة أخرى، هربت من أهلها، وتزوجنا، قضينا أعوامًا سويًا، وذات يوم هجمت عصابة ملثمة على البيت، لم أعرف إلى اليوم من هم وإلى أي جهة يتبعون، قتلوها.. ثم قيدوني وقطعوا أرجلي..

هنا ذهلت، ارتفع حاجباي واتسعت عيني لاستقبال الصدمة، وتركته يكمل قصته العجيبة، والتي كان يحكيها بتأثر شديد:

- تلك الحادثة هي سبب إعاقتي وليس حادثًا كما أخبرتك، وهذه الفتاة اليهودية هي نهلة داوود. أمك..

- أمي!!

يا الله! هل هناك المزيد من المفاجآت في هذه القصة.. ذهلت، وعجز كل الكلام عن التعبير.. وأكمل هو:

- نعم. كنّا أنجبناك في هذه الفترة، ولحسن الحظ أن العصابة لم تقتلك، ربما لم تجئهم أوامر بقتلك، أو قد يكون بدافع الشفقة، أو مثلا لم يلاحظوا وجودك، لا يهم.. ولكن ما يهم هو أنك معي إلى هذا النهار، أنا آسف أنك تسمع هذه القصة لأول مرة يا بني، ولا

**أعرف ما الذي قادك إلى هذا البيت أمس؟ وأفكر بأن نغير السكن قبل أن تسوء الأمور. أشعر بخوف كبير عليك، فليس لي سواك.. سامحني يا طاهر.**

لمّا انتهى من الكلام عمّ صمت طويل، كان ينظر في عيني، وأنظر في عينيه، يملأه الحزن، ويملأني الغضب.. قليلًا وأجبته:

**- لقد عشت معك أكثر من عشرين عامًا، علمتني فيهم ألا أكذب، وأنت عشت معي عشرين عامًا تكذب علي.**

ثم تركته ورحلت، ملأت حقيبة ظهر بثياب وأوراق للجامعة، ثم غادرت البيت، لا أعرف أين أذهب، ولكني أردت أن أبتعد.

***

# (٥)

**٤٥٠ قبل الميلاد**

**مستوطنة ماجنا جراسيا - جنوب روما**

أقدام شاب تعدو فوق الرمال، تحت أشعة الشمس الحارقة، يهرب من موت محتوم، يسقط أرضًا كل ما يعوق طريقه في سوق ماجنا جراسيا الكبير، ومن خلفه جماعة من الرجال الغاضبين يطاردونه، يتهمونه بالكفر والهرطقة، إذا تمكنوا منه فلن يترددوا في قتله على الفور، فقد سرّب أسرارهم للعامة، وكشف حقيقة من شأنها أن تقلب المفاهيم وتهز الثوابت، كان هذا الشاب الذي يهرب حاملًا مجموعة من اللفائف والأوراق يدعى هيباسوس، وأما الجماعة التي تطارده هي جماعة الفيثاغوريون، أتباع عالم الرياضيات الشهير فيثاغورس، الذين قدسوا الرياضيات إلى حد العبادة، واكتشفوا أسرارًا عن الكون والطاقة فسّرت الكثير من العلوم، وأخفت من العلوم أكثر، قدسوا المثلثات والأهرام والأشكال الهندسية، زعموا أنهم اكتشفوا سر المصريين القدماء في بناء الأهرام، أسرار عن الطاقة، والعلاقة بين سحر الرياضيات ولغز الوجود، ووحدة بناء الكون وهندسة الخالق في التكوين، وكان الشاب هيباسوس على وشك أن يكشف للعامة كل هذه الأسرار، بل أنه اكتشف خللًا في نظامهم وفكرتهم عن الكون، خلل برغم عبقريته، إلا أنه كان صدمة في صميم مفاهيمهم لم يأخذونها أبدًا في الاعتبار، ففعلوا مثلما ستفعل الكنيسة في كوبرنيكوس عندما نفي أن الأرض هي مركز الكون فأعدموه.

لقد اكتشف هيباسوس عددًا جديدًا، عدد غير صحيح ولا تنطق به الطبيعة، عدد لا فردي ولا زوجي ولا صفري، لقد أثبت أن الخط المستقيم ليس شرطًا أن يتكون من نقط معلوم عددها، هذا ببساطة عندما أراد أن يحسب الوتر لمثلث أطوال ضلعي قائمه تساوي واحد، فإن نصّت مبرهنة فيثاغورس أن «مجموع مربعي طول ضلعي القائم يُساوي مربع طول الوتر» عند إذ سيساوي الوتر «جَذر اثنين» ولكن لا قيمة حقيقية محددة لهذا الرقم، يمكنك أن تحسب قيمته إلى ما لا نهاية ١.٤١٤٢١٣٥٦٢٣٧... ولن تنتهي الأرقام، كانت هذه الفكرة ضد مفاهيم المنطق عند جماعة الفيثاغوريين، الذين كانوا على وشك إيجاد طريقة المهندس الأعظم في صنع العالم، الطريقة التي ستمكنهم من السيطرة على كل شيء، ولكن إذا صحّ هذا الاستنتاج سيضطرون إلى إعادة كل حساباتهم، وقد تصدمهم حقيقة أنهم كانوا على

خطأ طوال هذا الوقت، رفضوا تمامًا هذا البرهان، فغضب هيباسوس من عدم الاعتراف به، وقرر أن ينشق عنهم، وأن يفضح أسرارهم العليا في علوم الأرقام والطاقة، وأسرار الشكل الهرمي والاثناعشري، ذلك عقابًا لهم ولاستهزائهم ببرهانه، فكان منهم أن طاردوه واعتزموا على قتله، ظل هيباسوس يهرب منهم لساعات، خلفه عشرات من الرجال الغاضبين الثائرين، حتى اختفى عن أعينهم ووصل إلى الشاطئ، فأخذ قاربًا صغيرًا وقرر الهرب من المدينة، ونشر علومه وأسراره في مكان بعيد، ولكن حلمه لن يتحقق، لقد رآه أحد افراد الجماعة قبل أن يهرب فناداهم، فكان منهم أن أخذوا قواربهم وحاصروه في البحر، فانقضوا عليه وقيدوه، ثم ألقوه في البحر فأغرقوه، ثم حرقوا قاربه وأوراقه وأسراره، ولم يبق منها أي أثر، مات هيباسوس، ولكن برهانه وسيرته ظلت على قيد الحياة.

***

# (٦)

**الإسكندرية - ٢٠٢١**

جعلت أمشي على طريق البحر هائمًا، ليس لي وجهة ولا مكان يحتويني، كم يحزنني كلام والدي، وأكثر ما يصدمني أنّه كذب عليّ كل هذا الوقت، كيف أتقن الكذبة؟ حملتني نفسي نحو كوبري ستانلي، ووقفت هناك أتابع موج البحر، يخطف الأنظار كتنويم مغناطيسي فلا تشعر أمامه بمرور الوقت، كلام والدي يفسر الكثير، ولكنه في نفس الوقت لا يفسر شيئًا، كيف ذهبت إلى تلك الفيلا؟ ومن هي الفتاة التي رأيتها؟ هل هي أمي في شبابها؟ وهذا شبحها مثلا؟ رأيت صور أمي ولا تشبهها، هل يجب أن يكون شبح الإنسان يشبهه؟ وهل من رأيتها في الصور أمي فعلا؟ وهل هذه الفتاة التي رأيتها شبح من الأساس؟ آلاف الشكوك والتساؤلات، ولا إجابة واحدة.. وفجأة جاء رجل غريب وقف إلى جواري، قريب لدرجة تثير الريب، شعرت بالانزعاج، ولكن تظاهرت أنني لا أبالي، وجعلت ألمحه بطرف عيني كل بضع ثوان في توتر، ثم وجدته فجأة يقول:

**- كيف حالك يا طاهر؟**

تبدلت ملامحي، ونظرت إليه عجبًا، مَن هذا الرجل؟!

**- مَن أنت؟**

سألت، وأجابني بنبرة هادئة وهو ينظر إلى البحر:

**- ألا تريد أن تعرف ما حدث قبل يومين؟ الفيلا التي وجدت نفسك فيها؟ والفتاة التي رأيتها هناك ثم هربت؟**

**- هل أرسلك والدي؟**

نظر إلي، وأجاب بابتسامة مطمئنة:

**- لم يرسلني أحد. ولكن إذا كنت تبحث عن إجابات لأشياء غريبة حدثت لك، فعندي كل شيء.. ولكن أولًا لنجلس في مكان أكثر هدوءًا**

وأشار بكفه، ومشي فتبعته، مشدوهًا مبهوت الملامح.. أتساءل من يكون هذا الرجل؟ وكيف عرف كل شيء؟ هل يحمل الموقف المزيد من التساؤلات؟ ولكن قريبا سيخبرني بكل شيء، دخلنا إلى مقهى قريب هادئ، جلست أمامه، ونظرت في عينيه الضيقتين، الرجل يبدو في أواسط الأربعينات، خصيلات شعره ناعمة ثقيلة تتراوح ألوانها بين الأبيض والأسود، طويل الشعر قليلا، طويل الأنف ثقيل الحاجب، ووجه أجرد قمحي اللون به القليل من التجاعيد، كان أمامه زجاجة ماء وكوب فارغ، فصب بعض الماء في الكوب وشربه، وكان الكوب قد ترك مكانه دائرة من الماء، فجعل يرسم منها بضع دوائر متجاورة، ثم يقسم كل دائرة نصفين، فسألته في ضيق:

**- أخبرني ما القصة؟**

فقال وهو يكمل ما يفعله:

**- ماذا تشرب؟**

**- قهوة مضبوط، الآن أخبرني ما القصة، ومن أنت؟**

**- سادة ومضبوط لو سمحت.**

قال للنادل، ثم أردف وهو ينظر تجاهي مبتسمًا ولم تزل كفه ترسم الدوائر:

**- كيف حالك يا طاهر؟**

مال هذا الرجل يلعب بفضولي وأعصابي، فليخبرني سريعًا ما اتينا لأجله، أنا لا أطيق الانتظار، وضعت يدي فوق ما كان يرسمه فأفسدته، وأجبته بضيق شديد:

- بخير. الآن إن لم تخبرني ما القصة ومن أنت سأترك المكان وأرحل.. هل تسمع؟

- حسنًا. لا تقلق.. إن كنت تريد أن تعرف من أنا.. فأنا خالك.

_ خالي!

- نعم. ألم يخبرك والدك أن لك خال يعيش في إسرائيل؟

- آاا. نعم عرفت.. وماذا تريد؟

- ألن ترحب بي؟

- أرحب!. أنا لا أعرفك ولا عندي فضول أن أعرفك، ولا أحب المكان الذي جئت منه ولا أحب أن أنطق اسمه، الآن هل ستخبرني ما قلت أنك ستخبرني به أم تتركني لأرحل؟

- اهدأ يا بني، أنا لست بهذا السوء الذي تظنه، ليس كل من عاش في إسرائيل عاش باختياره، لست صهيونيًا، أنا فقط يهودي، هل تعرف الفرق؟

- أعرف.

- حسنًا، لن أسألك كيف حالك، لا يبدو أنك بخير، على أي حال، سأحكي ما جئت من أجله، اسمع. لقد تعرضت لأزمة مادية كبيرة في إسرائيل، كان والدي هنا في الإسكندرية قبل أن نرحل يدير أعمال تجارة كبيرة، لمّا سافرنا ضاع كل شيء، وأصبحنا نفتقر شيئًا فشيئًا بعد أن اعتدنا على الترف، ولمّا مات والدي منذ بضع عقود، ازداد الأمر سوءًا..

عندها قاطعته بضيق شديد..

- ما قصتي أنا بكل ما تقوله؟ هذه المشاكل الأسرية والمادية لا دخل لي بها، فقط أريد

أن أعرف ما أخبرتني أنك ستخبرني به.. لِمَ المماطلة؟

- آه... ألا تتحلى بالصبر أبدًا يا صبي، والذي أنزل التوراة ستعرف كل شيء، فقط اسمع الحديث لآخره.

تنفست الصعداء، وحاولت أن أتحلى بالصبر قدر المستطاع، وقال:

- لنا أملاك هنا في الإسكندرية، وأهمها الفيلا التي أنت رأيتها، وقد جئت لكي أبيعها، ثم أرحل إلى حيث أتيت، ونحن لا نأكل مال أحد، أنت لك إرث في هذا، فأنت ابن العزيزة نهلة، ليس عندك فكرة كم كنت أحبها، ولكنها تركتنا من أجل أبيك، ولا ألوم عليها، لو كان باختيارنا لما تركنا الإسكندرية أبدًا، أنا هنا منذ بضعة أيام، حاولت أن أقابلك، أعرف أن والدك لن يجعلك تقابلني أبدًا، وأنت لا تذهب كثيرًا للجامعة بسبب ظروف الحظر وهذا الوباء اللعين، عرفت مكان والدك وأنه يعمل بكي وتنظيف الملابس، فأرسلت أحدهم ببدلة ومبلغ من المال، وطلب منه أن ينتهي منها سريعًا، ثم اتصلت به في وقت متأخر من الليل، وأخبرته أنني صاحب البدلة وأريدها حالًا لموعد سفر طارئ، كنت أعرف أنه سيرسلك أنت لأن هذا خارج مواعيد الصبي الذي يعمل معه، وبالطبع هو لا يقدر أن يوصلها بنفسه، وصفت له عنوانًا بعيدًا عن الفيلا حتى لا يشك في شيء، ولكن لا أعرف ما الذي جعلك تفقد وعيك عند تلك المقابر؟ كنت أراك وأنا واقف هناك على خط الترام، جئت إليك عدوًا، أخذت سيارة أجرة وذهبت بك إلى الفيلا، حاولت أن أوقظك فلم أستطع، خفت عليك كثيرًا، كانت أول مرة أراك، وكم كنت تشبه والدتك، ذهبت مسرعًا لأبحث عن طبيب، فليس معي أي أرقام لأطباء هنا، ولكن لابد أنك استيقظت في ذلك الوقت وأنا لست بالفيلا، وتلك التي رأيتها هناك بالغرفة كانت نورا.. ابنتي الوحيدة، وهي التي أخبرتني بما حدث، ولكنك لم تترك لها فرصة لتشرح لك شيئًا.. حقك طبعًا أن تشعر بالفزع إذا استيقظت فوجدت نفسك بمكان غريب مهجور، لا لوم عليك.. والآن حتى لا أطيل الكلام ساخبرك بما كنت أريدك من أجله من البداية.. أنا أحتاج إلى مساعدتك في أن نبيع تلك الفيلا في أقرب وقت، اسع معي فليس عندي معارف هنا، أعرف أنك تشعر بكره تجاهي، ولكني أعدك بعد أن أبيع الفيلا وتأخذ نصيبك، سأرحل ولن تراني مرة أخرى إذا أردت، وسامحني على كل ما حدث.

- لا عليك. الآن أشعر بارتياح، كاد يصيبني الجنون من كثرة التساؤل.

telegram: @alanbyawardmsr

أجبته بنصف ابتسامة، وياله من تفسير بسيط، عقلي شكّ في خيالات بعيدة، ولكن كيف لي أن أتدارك ما حدث وحدي؟ جاءت القهوة، فأخذت رشفة، وكانت مقززة، لابد أنها قهوته السادة، قلت له وملامح القرف على وجهي.

**- هذه سادة.**

فضحك من ملامح وجهي وبدَل معي، أردت أن أضحك، ولكن كتمتها في نفسي، ثم مد يده فسلّم عليّ وقال.

**- أنا خالك جبريل، جبريل داوود هارون، عالم رياضيات يهودي، مصري سكندري، مثلك تمامًا، بل أكثر منك أيضًا، ولكن الإسكندرية ازدحمت كثيرًا، منذ ربع قرن لم تكن هكذا، كانت أجمل من أوروبا، ولكن الزمن لا يبقي شيئًا على حاله، صحيح. كيف حال أبيك؟**

telegram: @alanbyawardmsr

لمّا قال "أبيك" ذكّرني به، وذكّرني كم أشعر بالحزن من ناحيته، وقد استطاع أن يكذب عليّ كذبة كبيرة مثل تلك كل هذا الوقت.. أجبته في حزن.

**- والدي بخير.**

**- هل ستساعدني في بيع الفيلا؟**

سأل فأجبته في حيرة وتردد.

**- لا أعرف. ولكن.. سأحاول..**

شربت ما بقي من القهوة في صمت، وكدت أرحل، ولكن أين أذهب؟! وحضرتني هذه الفكرة.. فسألته:

**- هل.. هل يمكن أن أطلب منك شيئًا؟**

- طبعًا. تفضل.

- هل يمكن أن أبقى معك بالفيلا لبضعة أيام؟ إن كان هناك غرفة فارغة مناسبة.. أرغب في أن أقضي بعض الوقت بعيدًا.

- أكيد. هذا بيتك.. وعلى رأسي.

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

# الفصل الثاني لكل مجهول قيمة

## (١)

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

شتاء في مارس، يحدث كثيرًا في الإسكندرية، قطرات المطر خفيفة متباعدة، تسقط على الأرض فتزخرفها بنقوش لامعة، وتخرج منها رائحة تشعرني بنشوة وسعادة بالغة، هذه الرائحة يسميها الإغريق القدامى «البتريكور»؛ وهو السائل الذي يخرج من عروق الآلهة إذا امتزج بالحجر، يُعتقد أن الناس ورثت عشقها لرائحة المطر من أسلافهم، الذين عنى المطر لهم الخير والرزق والنجاة، ربما لهذا السبب أتعلق كثيرًا بشتاء الإسكندرية الساحر، ربما لهذا أخذت أتأمل شوارعها طوال الطريق شاردًا، حيث أخذنا التاكسي إلى باب الفيلا التي لم تكن بعيدة، دقائق حتى وصلنا أنا وهذا الرجل المدعو جبريل، خالي اليهودي كما يزعم، ولولا كلام والدي صباح اليوم لما صدقته، أخرج مفاتيحه الصدئة وفتح الباب الحديدي الموصد، آخر مرة رأيت هذا المكان كنت أفر منه هاربًا إلى بيتي، واليوم أفر إليه هاربًا من بيتي، يومين غياب لن يفعلا شيئًا، أغير فيهم من نفسيتي، وأجدد من روحي، حقيقة أنني لا أحب أن أمكث عند أحد، ولكن هذا البيت يثير فضولي، ويحمل الكثير من الأسرار عن ماض أرغب في التعرف عليه، دخلنا إلى حديقة واسعة، وكان هناك بستاني يقلم أشجار الحديقة التي غدت غابة بعد طول غياب، من الجيد أنه أحضر بستاني، تقليم الحديقة وتنظيفها سيفيد كثيرًا في عملية البيع، لن أدعي أن قصة بيع الفيلا لا تغريني؛ إنها أقرب إلى قصر، وفي مكان متميز، وتساوي ملايين على أقل تقدير، جزء صغير من هذا المبلغ يحل الكثير من مشاكلي، سأعالج عيني وأشتري بيتًا وسيارة وأصرف على والدي العاجز الذي أرهقته الدنيا، الفقر آفة، وكي تصنع أموالا تحتاج إلى أموال.

- مرحبًا بك في بيت جدك يا طاهر.

قال الخال جبريل، وصعد بضع سلالم نحو بوابة المبنى العالية، وطلعت خلفه، بدت الفيلا اليوم أفضل كثيرًا من آخر مرة، ربما تحتاج لبعض أعمال النقاشة، ولكن ليس الأمر ضروريًا للدرجة، لا بأس بها هكذا، تبدو مثل تحفة أثرية؛ النوافذ الخشبية الطويلة، القبة الكبيرة، الشرفة الواسعة، والأعمدة الرخامية العالية، وبالطبع التمثال النحاسي، وبالداخل رأيت جنية

الاسبوع الماضي، كانت تنظف، تمسك قماشة وتنفض التراب عن الآرائك، ترتدي منديلًا أصفر يحجم شعرها الطويل المنسدل، وبيجامة صيفية خفيفة، ناداها الخال جبريل فجاءت مسرعة، مبتسمة مثل قطة أليفة، عانقها تحت ذراعه، وقال يعرفنا سويًا

**- نورا ابنتي الجميلة الوحيدة. طاهر، ابن خالتك.**

**- أهلا طاهر.**

قالت ومدت يد صغيرة ناعمة، فمددت يدي من بعيد باسطًا ذراعي إلى آخره، وسلمت بخجل شديد، كان على وجهها نصف ابتسامة، لابد أنها تذكرت ما حدث يومها، نظرات الفزع على وجهي وهروبي من الفتحة الصغيرة في تلك النافذة، مخجل جدًا، لي تاريخ من البلاهة أمام الجميلات، وهذا أبلغهم، وهي أجملهم، ولكني معذور، من في مكاني لن يفعل مثل ما فعلت، وكان الموقف مرعبًا بحق، سلبتني عينها اللامعة وهي تنظر نحوي، جميلة هي، نصف جمالها غربي، ونصف عربي، نحيفة الخصر، متوردة الخدين، أصغر مني بعام أو اثنين، ملامح لا تعطي أكثر من ثمانية عشر عامًا، ولكنها ثمرة ناضجة جاهزة للالتهام، قال الخال جبريل:

**- لدينا بعض المشاكل في السباكة والكهرباء، ولكن كل ذلك سيتم معالجته في أقرب وقت، لحسن الحظ أن أثاث الفيلا لم يسرق طوال هذه السنوات، ربما ذلك لأنها تجاور العديد من فيلات اللوائات والعائلات الهامة ذات الحراسة المشددة.**

وأجبته وأنا أتأمل المكان من حولي:

**- يبدو كل شيء أثري هنا، ومع قليل من التنظيف ستصبح من أجمل البيوت في الإسكندرية، سأساعدكم على ذلك، وخلال يومين سيصبح كل شيء جاهزًا.**

**- لولا الظروف لما اضطررت لبيعها، ولكن للضرورة أحكام يا طاهر.**

قال الخال جبريل ويملأ وجهه الحسرة، وعقّبت نورا:

**- حسنًا يبدو أنكما جائعان، سأذهب لأحضّر طعامًا.**

ذهبت مسرعة، وجلس الخال جبريل ثم سألني.

**- أخبرني. ما هو تاريخ اليوم؟**

**- الثالث عشر من مارس.**

أجبته، فقال:

**- حسنًا. أنت محظوظ، لدينا عيد ميلاد غدًا.**

**- مَن؟ ابنتك؟**

**- ابنتي!! لا.. بل شيء أغلى وأكثر قيمة.**

غريب!! ما الذي قد يكون أغلى عنده من ابنته؟ ربما هو شيء عندهم يؤمنون به في ديانتهم.. سألته فضولًا..

**- عيد من؟!**

وكانت إجابته قصيرة:

**- ستعرف غدًا.**

جاء الليل سريعًا، أكلنا ونظّفنا البيت حتى امتلأنا بالغبار، بذلنا مجهودًا كبيرًا، وأحضر الخال جبريل بعض الصنايعية لترميم ما كان ضروريًا من سباكة ونجارة وكهرباء، كما أنه اشترى ثلاجة صغيرة وبعض الأشياء الضرورية للبيت، أما أنا ونورا فجعلنا ننظف ونرتب أرجاء المكان، أحضرت سلّمًا وجعلت أمسح خيوط العنكبوت من الأماكن العالية، كنت أنظر إليها لا إراديًا وأطيل التأمل، نورا طبعًا وليس خيوط العنكبوت، ولما تراني أحيد بنظري تجاه

أي شيء آخر، ماذا دهاني؟! هل يمكن أن أحب فتاة يهودية مثل والدي؟! لكن من قال أنني سأحبها، أنا فقط لا أتعامل مع الجميلات كثيرًا، وهي جميلة سارقة للأنظار، صغيرة السن رقيقة، وأنا مجرد مراهق لا يجيد التعامل، عاملها على أنها ابنة خالك ليس إلا، والتي لن تراها في حياتك إلا بضع أيام حتى تباع الفيلا، احذر الحب يا طاهر، لديك الكثير من الجميلات في الجامعة، ستصبح غنيًا وستكسب ثقة بنفسك لتتحدث لأي فتاة، سيأتي الحب بعد الجامعة، أو في الجامعة.. لا زلت صغيرًا، تذكر كل الذين يرافقونك الصف، أو جيرانك في المنطقة، ولكن ليست هذه.

**- حسنًا، يكفي هذا لليوم يا شباب. الحمامات الآن جاهزة للاستحمام.**

قال الخال جبريل، وكان خبرًا سعيدًا، بعد الحمام خرجت إلى الشرفة الكبيرة، كانت أجمل ما تم توضيبه، ذات إطلالة على الحديقة الواسعة، التي رغم الليل وانغلاق الأزهار تفوح منها رائحة عذبة، مزيج من الريحان مع السرو الليموني والطين المبلل، ونسيم البحر المنعش، هذه أجمل أنفاس يمكن أن تستنشقها، كنت وحيدًا هنا في البداية، قليلًا وجاءت نورا، كالعادة ذات إطلالة رائعة.. ولكن أليس لديها ملابس طويلة وواسعة في حقيبتها، تلك الصغيرة جميلة لدرجة غير معقولة، ذلك الرمش المتعالي فوق الأعين اللامعة، الخد الموزّد، والفم المكزز، وال.. عليك أن تهدأ يا طاهر، كل البنات إن ارتدين نفس الملابس سيكونون بنفس الإثارة، أظن ذلك.. ألقت بنفسها على المقعد أمامي ومدت ذراعيها مستلقية من التعب، مثل عدّاء مرهق بعد سباق طويل، حاولت أن أكسر حاجز الخجل بيننا، والذي تشكلت أعمدته من أول موقف التقينا فيه، عندما رأيتها ففررت مرتاعًا هاربًا، قلت:

**- بذلنا الكثير من المجهود اليوم، لابد أنك مرهقة.**

**- نعم. لا أشعر بقدمي..**

قالت، ورفعت قدميها على المقعد فأمسكت بهما متألمة.. ثم أضافت بابتسامة أمل:

**- ولكن أصبح المكان رائعًا، اليس كذلك؟**

**- نعم. جدًا.. كان مرعبًا منذ بضع أيام.**

قُلت مازحًا، وأجابتني:

**- ما زال مرعبًا بالنسبة لي. الإنسان لا يحتاج إلا بيت صغير حتى يشعر بالأمان.**

**- بالمناسبة، أعتذر عما حدث مني أول مرة التقينا فيها، الحقيقة أنا محرج منك جدًا بسبب هذا اليوم.**

**- هل أرعبتك لهذه الدرجة؟**

سألت وفي ملامحها حزن مصطنع، وأجبتها:

**- بالعكس، أنتِ جميلة جدًا، ولكنّي لم أكن في حالة تسمح لي بالتفكير، تخيلي أن تستيقظي لتجدي نفسك في قصر مهجور ولا تعرفين كيف، لم أكن أفكر إلا في طريق للهروب.**

ظهر الخجل على وجهها عندما قلت أنها جميلة، هذه أول مرة أتحدث فيها بلطف مع فتاة، ارتجف قلبي بقوة وأنا أقولها، وظهر ذلك في نبرتي، لو كنت حضّرت لهذه الجملة لما استطعت لفظها، ولكن خير الكلام ما يخرج من القلب دون تفكير، وأجابتني:

**- لو كنت مكانك لما امتلكت أعصابًا لأهرب بها أصلًا.**

**- هل سبق وتعرضتِ لموقف مرعب لهذه الدرجة؟**

لا أعرف لماذا افتعلت مثل هذا السؤال، ولكن على أي حال يبدو الجو مناسب جدًا للحديث في بعض المواضيع المرعبة.. أجابتني بعد تفكير قليل:

**- لا أريد أن يكون ردي سخيفًا ولكن، أن تصبح أنت نفسك أكبر مخاوفك، ذلك أسوأ ما يمكن أن يحدث لأحد.**

لم يبدُ ردها سخيفًا بالنسبة لي، كان غير مفهومًا.. فيلسوفة هذه الصغيرة، أردت أن أسألها عن المعني من كلامها، ولكن شيء آخر شتتني ولفت انتباهي.. صوت بعيد، صوت الخال جبريل يتمتم ويقول أشياء غريبة.. سكتنا قليلًا، تثاءبت هي، وجعلت تدلك كتفيها من لسعة برد أرسلها البحر من بعيد، كان يمكن أن أحكي لها أشياء مرعبة كثيرة حصلت معي وأنا صغير، ولكنها على أي حال خيالات أطفال مثيرة للسخرية، فرأيت أن الصمت أبلغ، كانت تنظر إلى النجوم اللامعة، وكنت أنا أنظر إليها وأتأمل، فلما التفتت نحوي ارتبكت، وقلت سريعًا:

**- آاا.. هل تسمعين صوت أبيكِ؟ وكأنه يتحدث إلى نفسه، سأذهب لأرى ماذا يفعل.**

**- هذا العادي منه. وأنا سأذهب لغرفتي، فقد غلب عليّ النوم.. تصبح على خير.**

***

# (٢)

على أضواء الشموع يجلس الخال جبريل، في صالة الفيلا الواسعة، خياله من خلفه ضخم مثل غول أسود، يتراقص مع تراقص الشعلات، ويتكرر متداخلًا من تعددها، يتمتم ويقول أشياء غريبة، حسبت أنه يحضّر أرواحًا أو يلقي تعويذة، أو في أبسط الخيالات يصلّي على الطريقة اليهودية، ولكن لما اقتربت قليلًا وجدت أنه يشاهد على شاشة لابتوب فيلم أبيض وأسود، يبدو أنه فيلم قديم جدًا، وممل جدًا، وهو يحفظ كل كلمة فيه فيقولها معه بالحرف وبالثانية.. سألته:

**- ماذا تفعل؟**

**- أحتفل.**

**- تحتفل! ؟**

**- لقد تجاوزت الساعة الثانية عشرة، ألم أخبرك أن اليوم عيد؟**

وكانت ملامحه تملأها حماسة كبيرة وهو يتكلم، ولمّا سألته بفضول «عيد من؟» أجابني مشيرًا إلى سبّورة سوداء مكتوب عليها بطباشير أبيض وبخط كبير الرمز الرياضي (باي) (π) وقال بسعادة بالغة

**- عيد باي.**

**- باي!**

**- الرقم باي. يحتفل الرياضيون به كل عام، لقد أعددت كعكة لهذه المناسبة.. وسنأكلها غدًا سويًا.**

انعقد حاجبيّ.. وسألته مشيرًا إلى اللوحة السوداء

**- هذا هو الشيء الذي قلت أنه أهم من ابنتك؟!**

**- نعم. وهل لي أن أقول أن ابنتي أهم مثلًا من الشمس لهذا الكون؟ أنت مهندس.. ألا تعرف قيمة العدد باي لهذا العالم؟!**

**- أعرف أنه يستخدم لقياس محيط الدائرة.**

**- ليس بهذه البساطة، إنه من أكثر الأرقام سحرًا في الوجود، وإلا لما اخترعوا له عيدًا واحتفلوا به.**

**- كيف؟**

سألته والدهشة بين قسمات وجهي، كل ما كنت أعرفه عن هذا الرقم أنه النسبة بين الدائرة ووترها، وكنت أظن أنني أعرف الكثير عنه، أعرف مثلًا أنه عدد غير نسبي وليس له قيمة محددة، وأن قيمته يمكن أن يتم حسابها إلى ما لا نهاية بعد الفاصلة، وكثير من العلماء تسابقوا لحساب أكبر قيمة منه، ولكنه أضاف.

**- هذا الرقم موجود بطريقة غريبة في كثير من المعادلات الفيزيائية التي تفسر طبيعة الكون، الثابت الكوني، مبدأ هايزنبرج وغيرهم. لدرجة تجعله رقمًا مقدسًا عند معظم الرياضيين، نحن نعتقد أن هذا الكون مصنوع من مجموعة معادلات وثوابت وضعها المهندس الأعظم في الخلق، ومن يمتلك هذه الأرقام كاملة، يمكنه فهم واختراق أي نظام في العالم، حتى نظام الكون نفسه بطبيعته وأزمنته وأماكنه، ومن أهم هذه الثوابت هم الرقمين باي وفاي.**

ثم قام برسم دائرة يتخللها خط طولي، وهو الرمز فاي $\Phi$، لقد أثار اهتمامي كلامه الغريب هذا، أنا أحب الرياضيات وأجدها فعلا مثيرة للاهتمام، ولكني لم أفكر فيها قط بهذه الطريقة، حتى الرمز فاي الذي كتبه هذا لم أدرسه في أي مرحلة دراسية، أنا حتى لم أفهم أثناء دراستي قبل الكلية فيم تستخدم أغلب المعادلات، فقط أرقام وتمرينات على حلها،

maktabbah.blogspot.com

الأمر الذي يجعلها مملة للكثير من الدارسين، لأن ليس وراءها قصة تعرّفنا أهمية تلك الأرقام وكيف جاءت، أصر المدرسون على إخبارنا أنك عندما تتخصص في كلية الهندسة سوف تعرف أهمية هذه المعادلات، وكأن الأمر سرًا للمهندسين، وها أنا قد التحقت بكلية الهندسة وفهمت فائدة عدد كبير من المعادلات، ولكن هناك العديد من الأسرار لم أفهمها بعد، رغم ذلك فقد كنت أجد في الرياضيات متعة لم أجدها في سائر المواد، متعة الانتصار للعقل، فهي بمثابة لغز عليك التفكير فيه وإيجاد حل له، وتلك النشوة التي تشعر بها عند الوصول للناتج المطلوب، رغم أن هذا الرجل يهودي وديانته تختلف عن ديانتي، إلا أنني لا أستبعد أن تكون نظريته صحيحة، وأن تكون الرياضيات والمعادلات هي بصمة الخالق في الخلق، فهي تجمع بين الدقة والعبقرية، وهو ما أجده بوضوح في هذا الكون، كان الخال جبريل في غاية الحماس وهو يحكي عن أهمية تلك الأرقام، الأمر الذي أزاد من حماسي تجاه ما يقول، وأضاف مشيرًا بعد أن رسم الرمز الآخر جوار باي:

**- أغلب العلماء كانوا متعجبين؛ كيف يمكن لبضع أرقام أن تفسر عالمنا بهذا الشكل المذهل؟ مثلا، هل تعرف كيف تم اكتشاف كوكب نبتون؟**

maktabbah.blogspot.com

حرّكت رأسي نفيًا منتظرًا منه إجابة. كانت رسمة باي في منتصف السبورة، على يمينها دائرة فاي، وقد أضاف على اليسار دائرة صغيرة تمثل كوكبًا ما.. ودائرة أخرى تمثل مداره حول الشمس، ثم قال:

**- قبل ٢٠٠ عام تقريبًا انحرف كوكب أورانوس عن مساره قليلًا، خمّن العلماء استحالة حدوث ذلك تلقائيًا، لابد وأن هناك جسم آخر أثر عليه، وباستخدام المعادلات فقط اكتشفوا كوكب نبتون. هل تعرف؟ هناك نظرية حديثة اسمها نظرية الأوتار، والمرجح أنها نظرية كل شيء، والتي سوف تسد الثغرة الفيزيائية التي عجز العلماء عن تفسيرها إلى اليوم، وتحل الطريقة التي يعمل بها الكون، فتجمع بين نظريتي الكم للأجسام الصغيرة، والنسبية للأجسام الكبيرة، ليصبح عندنا لأول مرة معادلة واحدة تتنبأ بدقة عن كل شيء في الوجود من الذرات إلى المجرات، وفي هذه النظرية الوتر يهتز تبعا للثابت باي، وأيا كانت هذه النظرية صحيحة أم خاطئة.. فالأكيد أن هذا العالم مربوط بالمعادلات، وأنك إن صنعت السؤال بشكل متقن، فالرياضيات حتمًا ستعطيك الإجابة، وستكون الإجابة دائمًا مذهلة**

(ثم أشار إلى الرموز على السبّورة وأردف):

- وأنا باستخدام هذين الرقمين صنعت معادلة مذهلة، معادلة أجمل حتى من معادلات أويلر العبقري.. إنها تتنبأ بالعديد من الأسرار عن ماضينا وحاضرنا، عن هذا الكوكب الصغير ونشأة الحياة عليه، عن موعدها وميعادها.. وقد تقلب الدنيا إذا نشرتها، وتغير نظرتنا لمفهوم الرياضيات وتؤكد أن في هذه الأرقام شفرة الكون، ولكن لا تسألني عنها الآن.. لأنني أريد أن أحتفظ بهذا السر الخطير لنفسي بعض الوقت.

انعقد حاجباي، فكّرت قليلًا وسألته محاولًا استيعاب ما قاله للتو:

- تقصد أنك استنتجت معادلة رياضية هامة وترفض نشرها للعالم؟! وما هو المنطق في ذلك؟!

maktabbah.blogspot.com

- لا تسأل عالم رياضيات عن المنطق، فهم أكثر الناس منطقية، ولا يتكلمون بالمعادلات والبراهين، ولكن أخبرني ما هو المنطق في أن أنشر اكتشافي للعالم إن كان بهذه الأهمية؟ إذا عثرت على كنز فليس من المنطق أن تشاركه مع الناس، لأنه سيفقد قيمته، هل تظن أن كل الرياضيين ينشرون أفكارهم؟ إن هذا العالم مليء بالأسرار التي لم تنشر، والساحر لا يكشف ألاعيبه، وفي الأرقام قوة أكبر من السحر، وقيمة أكبر من قيمة الجوائز واحتفاء العالم بك، قبل عشرين عامًا من الآن وضعت منظمة الإبداع الرياضي جائزة مليون دولار لمن يحل واحد من سبعة ألغاز رياضية، في عام ٢٠٠٣ استطاع عالم رياضيات روسي اسمه جريجوري بيرلمان حل لغز من هذه المعادلات السبع، ولكنه رفض استلام الجائزة، ولمّا سألوه عن السبب أجاب «أعرف كيف أتحكم بالعالم، أخبرني إذًا لم عليّ أن أتطلع لمبلغ مليون دولار؟»

كم هو غريب ما يقوله، أظن أنني لو مكانه واكتشفت شيئًا هامًا وكنت واثقًا من نظريتي لن أتمهل في نشرها على العالم، رفعت كتفي وقبضت على شفتاي علامة عن الاستنكار، ثم سألته مغيرًا ذلك الموضوع المريب:

- حسنًا أخبرني عن هذا الفيلم الذي تشاهده، ما قصته؟

- ليس شيئًا هامًا، رجل يهودي توصل إلى رقم يظن حاخامات اليهود أنه اسم الله السري، اسم الفيلم باي أيضًا، ولكنه لا يحمل الكثير من المسائل. ولكن انظر! هذه جيدة.. نحن اليهود نعتقد أن للحروف العبرية قيم عددية..

ثم قام باستخراج صورة على اللابتوب بها جدول ممتلئ بحروف عبرية وطريقة نطقها، وإلى جوار كل حرف قيمة عددية..

א ألف = ١

ב بيت = ٢

ג جيمل = ٣

ד داليت = ٤

ה هاي = ٥

ו واو = ٦

ז زاين = ٧

---

ח حيت = ٨

ט طيت = ٩

י يود = ١٠

כ كاف = ٢٠

ל لاميد = ٣٠

מ ميم = ٤٠

נ نون = ٥٠

---

ס ساميخ = ٦٠

ע عين = ٧٠

פ بي = ٨٠

צ تصادي = ٩٠

ק كوف = ١٠٠

ר ريش = ٢٠٠

ש شين = ٣٠٠

ת تاف = ٤٠٠

تأملت الرسمة قليلًا، وأردف هو مكملًا:

- من خلال هذه الأرقام توصل حاخامات اليهود إلى أسرار ورسائل وضعها الله لنا في

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

التوراة، وهناك العديد من الملاحظات الغريبة في هذه الطريقة، مثلًا عندما نجمع قيم حروف كلمة «أب» بالعبرية: ألف א = ١، بيت ב = ٢، نحصل على الرقم ٣، وعندما نجمع كلمة أم: ألف א = ١، وميم מ = ٤٠، نحصل على الرقم ٤١، وإذا جمعنا قيم أب وأم معًا سيكون مجموعهم ٤٤، والآن إذا حسبنا قيمة كلمة ابن، وابن بالعبرية تعني يلد، فالحروف هي: يود י = ١٠، لاميد ל = ٣٠، داليت ד = ٤ وبمجموعهم نحصل على نفس الرقم ٤٤ وهو مجموع الأب والأم معًا.. غريب أليس كذلك؟!

maktabbah.blogspot.com

- جميل، ولكن لا أظن أن هناك أي فائدة من شيء مثل هذا، مجرد صدفة غريبة لا أكثر.

- لا أعرف. أنا يهودي غير متدين، ولا أهتم كثيرًا بطريقة الحساب هذه وما تعنيه، ولكنها ليست صدفة، لأن الأمر يتكرر في أكثر من حالة، قد تبدو الأشياء صدفة في منظورها البسيط، ولكن في الكون الكبير إذا نظرت للأشياء بشكل أكثر توسعًا لن تجد هناك أي صدفة، كل شيء يمكن توقعه فقط إذا امتلكت المعادلة المناسبة، مثلًا..

ثم جعل يبحث حوله حتى عثر على عصا خشبية قصيرة، تناولها ثم أردف مشيرًا بها..

- مثلًا أنت إن أخذت هذه العصا وألقيتها على الأرض مرة واحدة لن أستطيع أن أخبرك بالتحديد أين ستقع، أو هل ستتقاطع مع خطوط البلاط الطولية على الأرض أم لن تتقاطع، ولكن إن ألقيتها أكثر من مرة، سأخبرك بالتحديد، وباستخدام معادلة واحدة. كم مرة تقاطعت هذه الخشبة مع خطوط البلاط وكم مرة لم تتقاطع، فقط بمعرفة طول الخشبة والفرق بين خطوط البلاط، وكلما زادت عدد الرميات، كلما كانت إجابتي أكثر دقة، رغم أن ذلك إن فكرت فيه ستجد أنه شيء يتبع العشوائية ويستحيل التنبؤ به، ولكن كما أخبرتك، هذا الكون محكوم بالأرقام بطريقة مذهلة.. خذ جرب بنفسك.

ثم أعطاني العصا، ولكن النوم كان يسيطر على رأسي بعد يوم مرهق طويل، نظرت في ساعتي فوجدت أن الوقت قد تأخر، وتذكرت فجأة أن عندي محاضرة ضرورية..

- آسف. يجب أن أنام الآن، عندي محاضرة هامة غدًا في الكلية.. أشكرك على هذه المعلومات الجميلة.. تصبح على خير.

## (٣)

سرير نحاسي، ووسادة قديمة من قطن بالٍ، لا أعرف من نام عليها من قبلي وما مصيره، ربما كان فراش أمي، ربما جدي، ربما كان مريضًا في ذلك الحين، ولكنه اليوم ليس كذلك، لم يزرني النوم أبدًا، وجعلت أتأمل الجدران المتشققة، قد أكون مصابًا بأرق تغيير الفراش، أو ربما لانشغالي البالغ بما قاله هذا الرجل، يقال أن عند تغيير مكان النوم يظل النصف الأيسر من العقل منتبهًا خشية أن يكون المكان الجديد غير آمن، ولكن عقلي كان في غاية انتباهه، زخم كبير من المعلومات يدور فيه مثل دوامة عميقة لا قاع لها، بعض مما قاله هذا الرجل غير مقنع، وبعض منه أتفق معه، وبعض منه لا أعرف عنه شيئًا، حاولت كثيرًا ألا افكر في شيء، وأن أنام ولو حتى بنصف عقل، ولكن العقل إن قلت له أن لا يفكر في شيء ما.. لن يفكر إلا فيه، وأنا عقلي لا يرحم نفسه من التساؤلات والبحث عن إجابات.

maktabbah.blogspot.com

ما هو الرقم فاي؟ من هو أويلر هذا الذي تحدث عنه الخال جبريل ونعته بالعبقري؟ اسمه مألوف، أظن أنني سمعته في أحد المحاضرات في سنة من السنوات ولكن نسيت.. كيف حال أبي؟ وكيف حال نورا؟ وكيف سيتنبأ الخال جبريل بعدد المرات تتقاطع فيها الخشبة مع خطوط البلاط بمعادلة رياضية واحدة؟! كانت الخشبة التي أعطاها لي ملقاة أمامي على الكومود، تأملتها قليلًا، ثم أنزلت قدماي على الأرض وجلست على الفراش، أخرجت من حقيبتي قلمًا وورقة وقسمتها بخط مسطور إلى نصفين.. بالأسفل في صالة الفيلا كان صوت العصا يدوي فانتبه له الخال جبريل، وربما انتبهت له نورا، بقيت في الغرفة لدقائق طويلة ألقي بالعصا على الأرض، ثم أسجل كم مرة تقاطعت في سقوطها مع خطوط البلاط الطولية، وكم مرة لم تتقاطع، حتى أكملت مائة مرة، ثم نزلت له، كان مستيقظًا يبتسم وهو يعرف سبب رجوعي، كنت أقف على منتصف السلم وكان ينظر نحوي، وقلت له:

**- ألقيت الخشبة مائة مرة، طول الخشبة ٢٦ سنتيمتر وعرض البلاطة ٤٠.**

ثم وضع يده على ذقنه وفكر قليلًا

**- هممم. إذًا تقاطعت الخشبة مع البلاط حوالي.. واحد وأربعين.. أو.. اثنان وأربعين مرة.**

ذهلت وفغرت فاهي.. وأجبته مصدقًا على قوله:

**- واحد وأربعون.**

**- حسنًا. النسبة حوالي ٤١.٤ أقرب إلى إجابتك**

**- كيف عرفت؟**

أجبته وأنا أسرع الخطى نحوه ويملأني الفضول، فمسح ما كان مكتوبًا على السبورة وكتب المعادلة:

**عدد مرات التقاطع = ٢ طول الخشبة × عدد الرميات ÷ π × المسافة بين الخطوط.**

**- مذهل. كيف يمكن التنبؤ بشيء عشوائي؟!!**

**- هذا لا شيء مم تفعله الرياضيات. أخبرتك أنه إذا صنعت السؤال بشكل مناسب الرياضيات حتمًا ستعطيك الإجابة.**

بقيت مشدوهًا لفترة قصيرة أتأمل هذه المعادلة السحرية، كم هي جميلة.. ولكن يكفيني ما أرضيته اليوم من فضولي، عليّ أن أنام الآن، ولندع بعض المتعة ليوم الغد.

**- حسنًا. سأنام الآن، ألقاك غدًا.. عندي أشياء كثيرة أحب أن أحدثك فيها.**

***

# (٤)

في قسم الرسم داخل الكلية كنا حوالي خمسين طالبًا، كل يضع كمامته على وجهه، ويرتدي البالطو الأبيض وكأنها غرفة عمليات، لا أعرف ما هي فائدة ارتداء البالطو في قسم الرسم الهندسي؟ دكاتره يا باش مهندسين!

جعل الدكتور يتحدث عن رسم المنحنيات، وعن طريقة اسمها «متسلسلة فوريه»، يمكن من خلالها صنع أي رسمة باستخدام بعض الدوائر متباينة الحجم، وهي الطريقة المستخدمة في تصميمات الكمبيوتر والعديد من ماكينات التصنيع، تجعلني هذه النظرية أعيد التفكير في كلام الخال جبريل بالأمس، هل يمكن أن يكون تم صنع الكون بطريقة مثل تلك؟ وهل هذه الدوائر تفسر وجود الباي في أغلب المعادلات؟!! حتى في معادلة الرميات العشوائية التي أجريناها بالأمس؟! لا أعرف، ولكن ماذا لو كان الكون مثل حاسوب معقد، مصمم من أرقام وأكواد، وكل رقم يمثل وحدة من الطاقة؟ وإن كان كذلك.. هل يمكن اختراق هذا النظام؟!! وما الذي يمكن أن يحدث؟!! كنت شارد الذهن لست في حالة تسمح لي بالتركيز مع المحاضر، كم يشغلني كلام هذا الرجل، ووجدت نفسي أكتب عن دون وعي مني الحروف الأبجدية العربية كاملة، ثم رقمت كل حرف حسب ترتيبه من ١ إلى ٢٨، وأخذت أحسب القيم، فوجدت أن مجموع كلمة أب يساوي ٣، ومجموع كلمة أم يساوي ٢٥، ليصبح حاصل مجموعهما ٢٨ ثم قررت أن أحسب قيمة كلمة ابن، حينها ذهلت عندما خرج الناتج نفس الرقم.. ٢٨، كيف تتكرر الصدفة باستخدام لغة مختلفة، ونظام ترقيم مختلف؟ ولكن على أي حال لا زلت أراها صدفة لا فائدة منها.. تثائبت مللًا، من المفترض أن أرسم الآن، ولكن لم تكن عندي طاقة، صداع رهيب يحتل رأسي، نظرت في ساعتي الرقمية فكانت ثابتة عند الساعة ١٨:١٨ أذكر أنني نظرت فيها بالأمس وكانت تعمل، منذ ذلك الحين وإلى الآن لم تأت الساعة السادسة مساءً، من أين جاءت الساعة بالرقم ١٨!

**- طاهر.. طاهر**

كان صوت الدكتور يناديني، حسبت أنه سيسألني لماذا لا ترسم، ولكنه أشار وقال لي

**- كمامتك.**

maktabbah.blogspot.com

كمامتي؟!! حسبت أنه أعمى، فأنا أضع كمامتي ولم أخلعها، كنت أظن أنه يسألني أن ألبسها وهي على وجهي بالفعل، ولكني انتبهت لكل وجوه الشباب والفتيات تنظر تجاهي في صمت بالغ كأن على رؤوسهم الطير، فخلعت الكمامة ونظرت فيها فوجدتها ممتلئة بالدماء، بقعة حمراء كبيرة وثقيلة في المنتصف، وقزعني هذا كثيرًا، ليست عادتي أن أنزف دماءً لا من أنفي ولا من فمي، لممت أوراقي وخرجت من القسم سريعًا، دون حتى أن أسأل الدكتور، وهو طبعًا لم يعترض، جعلت أمشي هائمًا في الشارع، تذكرت والدي وأردت أن أطمئن عليه، ارتديت كمامة جديدة بغرض التخفي، ودخلت شارعنا في حذر، بيتنا قريب، ووقفت بعيدًا أنظر إليه، كان والدي في المحل، يكوي قميصًا وفي عينه الحزن يظهر من بعيد، أعرف أنه آسف على رحيلي، أعرف أنه حاول الاتصال بي ربما مئات المرات ووجد هاتفي مقفولًا، إنه بمثابة أب وأم وأسرة بالنسبة لي، يراعيني وأراعيه، ولكني كبرت الآن، لم أعد صغيره بعد، أنا شاب جامعي سيأتي عليه يوم حتمًا وينتقل إلى بيت جديد، آسف يا أبي، أشعر بحزن عليك، مثلما أشعر بحزن منك، ولكن الأهم أنك بخير، وأني اطمأنيت على حالك، سأعود قريبًا، سأعود ومعي الخير لي ولك.

ثم أخذتني أقدامي سيرًا نحو فيلا الخال جبريل، رأيت الباب الحديدي مفتوحًا فدفعت مصراعه ودخلت، وكانت الشمس قبل غروبها بساعة أو اثنين، تسلط أشعتها الذهبية على باب الفيلا الخشبي العالي، مع قليل من ظلال الشجر المتراقصة على النسيم، فجعلت منه رسمة تستحق التصوير، طرقت عليه وفتحت نورا، فلامست الأشعة الذهبية وجهها، وداعب النسيم شعرها وفستانها، رفعت أصابعها تحمي عينها من الشمس، فأزادت صورتها من جمال الرسمة جمالًا، وقالت مرحبة:

- طاهر، أهلًا.. ادخل.

ثم دخلت هي، ووقفت أنا على الباب مترددًا، أطل برأسي باحثًا عن الخال جبريل بالداخل، لم يكن ظاهرًا، وكان الضي خافتًا داخل البيت، فقط أشعة متسللة بزاوية مائلة من النوافذ المتعددة، تلقي بضيائها على أرض الصالة الواسعة، فترسم مستطيلات من نور متجاورة متكررة، جلست نورا على مقعد بعيد، ترتدي قستانًا طويلًا حتى ركبتها، بلون أحمر ثقيل، تناولت فنجان شاي كان أمامها، وقبل أن ترتشف منه نظرت نحوي وأردفت بصوتها الطفولي:

- ادخل ماذا تنتظر! ؟

فدخلت وأغلقت الباب خلفي، اقتربت بتمهل وأنا أبحث حول المكان، وضعت حقيبتي وجلست أمامها، وسألتُ:

- أين الخال جبريل؟

- رحل منذ قليل.

- رحل؟! إلى أين؟

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

- لا أعرف. جاءته مكالمة، أنهاها وانصرف.. أتشرب شايًا؟

- همم. لا بأس.

وقامت تجري على أطراف أصابعها نحو المطبخ، وتساءلت في نفسي.. ترى أين ذهب الخال جبريل؟ كنت أشعر بتوتر ونحن وحدنا هكذا في هذا البيت الواسع، قليلًا وسمعت رنين شيء يسقط على أرض المطبخ، فذهبت رغبة في الاطمئنان عليها

- هل أنتِ بخير؟

- لا تقلق، هذا غطاء الإبريق سقط على الأرض فقط، الماء على وشك الغليان، لحظات ويكون جاهزًا. كم ملعقة سكر تحب؟

كانت تسألني طبعًا، ولكني لم أجب، كنت مثل تائه في عالم آخر، أتساءل كيف أراها جميلة هكذا في كل مرة! أعرف أنها ليست مثالية، ليست أجمل بنت في الوجود مثلا، قد تكون نحيفة قليلًا، وقصيرة، وثقافتها مختلفة تمامًا عن ثقافتي، لن يجمع الكون كله على أنها أجمل فتاة في الوجود مثلًا، فلِمَ أراها هكذا؟ ما هي معايير الجمال؟ لا شك أن المثالية المفرطة مثل الإفراط في السكر، يذهب الطعم الأصلي للشيء، ويموّع النفس، لكل إنسان

ذوقه، والأذواق مثل البصمات لا تتشابه، وهي كأنها فُصّلت على ذوقي، هذا الفستان الأحمر والشريط المعقود حول وسطها مثل هدية ثمينة، مثل قطبي مغناطيس جعلت أخطو خطوات قصيرة نحوها..

- لم تخبرني كم ملعقة سكر تريد أن...؟

maktabbah.blogspot.com

ولم تكمل كلماتها لمّا استدارت فوجدتني قريبًا منها، أخذت خطوة قصيرة للوراء وأسندت كفيها على لوح المطبخ من خلفها، جعلت عينيها العسليتين المذهبتين ترمقني من الأعلى للأسفل وفمها الصغير مفغور، تسارعت نبضات قلبي مع أنفاسها، ووجدت نفسي أقترب من ثغرها، هذا الفم المكرز المشدوه، يجذبني عن دون وعي مني ولا إرادة، ونظرت إلى هاتين النجمتين العسليتين، ووجدت أذرعي تلتف حول وسطها النحيف، فتعانقنا، أغلقت عيني على صورتها، وقبلتها بكل ما أوتيت من شوق وإعجاب، طال الوقت، كانت مستسلمة، ذابت في صدري وذبت فيها، تشبثت شفتيها بشفتيّ، وأغرقت أصابعها الصغيرة بين خصلات شعري، وكان صوت الماء يغلي على النار من خلفنا، ينادي ولا ينتبه له أحد، وتمنيت أن يطول هذا للأبد، ولكن فجأة سمعنا صوت الخال جبريل بالخارج.

- نورا... أين أنتِ؟

لمّا سمعته نورا فزعت، أبعدتني عنها وهربت واختفت، تناولت أنفاسي وبقيت مبهوتًا في مكاني قليلًا، أستوعب كيف فعلت هذا، كيف جاءتني الجرأة، وكانت هذه أول قبلة في حياتي، وأول عناق.. وأجمله.. نادى الخال جبريل على نورا مرة أخرى، يبدو أنها لن تذهب له، فغسلت وجهي ببعض الماء وخرجت، ولم يكن وحده، كان معه رجلين وامرأة، أيقنت سريعًا أنهم هنا للاطلاع على الفيلا بغرض شرائها..

***

# اكتشف نيكولا تسلا مفتاح الكون.

خلال أبحاث تسلا في علم الرياضيات لاحظ أن الأنماط العددية مزدوجة. فاجأ تسلا العالم بتصريح يقول فيه أنه استطاع السفر عبر الزمن للحظات أثناء قيامه بإحدى تجاربه الخاصة بإخضاع الزمن حيث قال أن شرارة كهربائية ضخمة أصابته ورفعته عاليًا في الهواء وفي أثناء ذلك كان على اتصال بشحنة كهرومغناطيسية مما أدى به لرؤية الماضي والحاضر والمستقبل في ذات الوقت ولحسن الحظ استطاع مساعده بشكل سريع فصل التيار وإنقاذه.

اختفى نيكولا تسلا في ظروف غامضة حيث قامت وسائل الإعلام بإعلان وفاته بأزمة قلبية رغم أن المقربين لتسلا يؤكدون عدم وفاته، بل اختفائه من المكان.

***

# (٥)

طاهر.. لم أعرف أنك هنا.. كيف حالك؟ هل نورا في غرفتها؟

**- لا أعرف. سأذهب لأراها.**

**- أخبرها أن الضيوف يريدون الاطلاع على الغرف.**

وذهبت مسرعًا أبحث عنها، لم تكن في غرفتها، لو خرجت من المطبخ إلى غرفتها لرآها الخال طالعة على السلم، لابد أنها في الحمام المجاور للمطبخ، حزينة خجلة مما حدث، طرقت على الباب طرقتين

**- نورا هل أنتِ بخير؟. لم أقصد أن أضايقك، لقد خرجت عن شعوري و.. آسف على ما فعلت..**

**- هل رأيتها يا طاهر؟**

وكان الخال جبريل، فزعني لما رأيته ظهر أمامي فجأة.. حاولت أن أخفي ارتباكي وأجبته:

**- نعم. هي في الحمام.. الغرف فارغة يمكنهم الاطلاع عليها.**

ثم خرجت وحدي إلى الشرفة، أشاهد آخر ما تبقى من قطرات الغروب، لا تحزن يا طاهر.. هذا لن يبقى طويلاً، سأصالحها، وإن لم يحدث.. سأترك هذا البيت، لن تستمر في بيت لست مرغوبًا فيه، أتمنى أن يشتريه هؤلاء الضيوف، لا أريد المزيد من المتاعب.

كانت أنغام العصافير وقت الغروب تسكن النفس وتطرب الآذان.. خلعت نظارتي ومسحتها بقميصي، ثم وضعتها وجعلت أتأمل السماء وقد امتلأت بشفق أحمر متدرج، زاخر بتجمعات رمادية مضيئة لسحب ترسم لوحات من خيال، لا تشبعني مراقبة تحركاتها البطيئة، ولا

تشبعني رائحة السرو والريحان في الحديقة، ولا تشبعني رؤية نورا، أعرف أنني لست إلا مراهق متذبذب المشاعر، هذه عادتي وهذا طبعي، تعاهدت مع نفسي ألا أحبها، فنقضت العهد في اليوم التالي، وقد أكون أحببتها من قبل هذا العهد، وقد يكون شعوري هذا مجرد إعجاب مؤقت زائل، وذلك ما أتمناه.. مرت دقائق قليلة حتى دخل الخال جبريل

**- لماذا تجلس وحيدًا؟**

**- لا ضير من بعض العزلة. لا عليك، هل سيشترون؟**

**- لا أظن!**

**- لِمَ؟**

**- يفاصلون في أكثر من مليون جنيه، ونحن نعرض الفيلا بسعر أقل مما تستحقه.**

**- لا عليك، سيأتي من يشتريها.**

رغم أني أرغب مثله في بيعها، ولكن في نفسي كنت منبسط الأسارير، تهلل وجهي وظهرت نصف ابتسامة حاولت إخفاءها، تأخر البيع يعني البقاء واللقاء لبعض الوقت، قريب منها ولو لأسبوع أو أقل، ترى هل يمكن أن أكرر قصة أبي؟ أن أحب يهودية مثل أمي التي لم أرها، أن تهرب نورا معي وتترك أباها، ولكن ماذا لو..

**- طاهر يا طاهر**

نداءات الخال جبريل تنبه غفلتي.. أظنه كان يكلمني، حركت رأسي متسائلًا فأعاد ما قاله:

**- أقول لا داعي إلى الحزن. لا تنس أن هناك كعكة في الثلاجة تنتظر من يأكلها، هيا لنحضر نورا ونحتفل بعيد باي.**

لم أر هذا الرجل يتحدث عن ديانته مثلما يتحدث عن الأرقام ويقدسها حد العبادة، ولكن إن كان الموضوع فيه نورا فلا بأس.. طلعنا إلى الصالة فأخرج الكعكة ووضع الشمع، كانت دائرية بالطبع، مغلفة بالشيكولاتة، ومرسوم عليها بالكريمة البيضاء الحرف اللاتيني باي π، وأخذ يشعل الشمع وينادي عليها:

**- نورا. حبيبتي نورا!.**

خرجت من غرفتها ووقفت تطل علينا من الأعلى عند جدار السلم، لما رأيتها اضطرب قلبي قلقًا، قال أبوها

**- هيا نحتفل سويًا.**

**- لا أريد.**

قالت وفي نبرتها حزن وغضب، وأردف:

**- أعددت الكعكة بنفسي. ألا تريدين تذوق ما صنعه أبوكِ؟**

لكنها لم تجب، تركت مكانها نحو غرفتها ثم سمعنا الباب يدوي.. جزع أبوها ثم قال:

**- حسنًا كما تريدين.**

في الحقيقة رد فعلها سد نفسي، ولكن لم يسد نفس الخال جبريل

**- دعها وشأنها لنحتفل سويًا.**

**- من أين جاءت هذه الساعة؟!**

كانت ساعة حائط صغيرة لاحظت أنها معلقة على الحائط، أثارت انتباهي لأنها لم تكن هنا

من قبل.. أجاب الخال:

**- اشتريتها اليوم. أحب أن أراقب الوقت، ولكن يبدو أنها تحتاج إلى بطاريات.**

**- غريب!! إنها متوقفة عند السادسة و١٨ دقيقة تمامًا مثل ساعتي، هل هذه صدفة؟!**

**- ربما. أو أن أحدهم يعبث بالوقت!**

ظننت أنه يمزح، لكن لما نظرت كانت ملامحه جادة، ساعتي ما زالت على حالها، وساعة الحائط عقرب الثواني فيها يرتجف في مكانه وكأنه يقدم ثانية ويرجع أخرى، أي صدفة تجعل الساعتين تتوقفان عند نفس الدقيقة، لا أظن أن الأمر بالنسبة لساعتي الرقمية يقتصر على مجرد بطاريات، إن فرغت الحجارة لن تضيء الساعة أصلًا.

**- هل هذا ممكن؟**

**- تقصد الكعكة؟! كانت صعبة، ولكني فعلتها أتمنى أن تعجبك.**

maktabbah.blogspot.com

**- آاا.. تبدو جميلة، ولكن أقصد أن يخترق أحدهم الزمن ويعبث به.**

نفخ في الشموع فانتشر الظلام.. أنار ضوء الغرفة، ثم ترك الكعكة على حالها، تناول طباشيرة، وجعل يشير بها وهو يجيب:

**- إن لم تكن بشريًا أو شيء له كتلة فهو ممكن.**

لم أسأل، ولكن بدت كل علامات الاستفهام مكتوبة على وجهي، فاتجه الخال نحو السبورة وقام برسم هذه المعادلة الغريبة وهو يجيبني:

$$m = m_0 / \sqrt{(1-v^2/c^2)}$$

- تقول هذه المعادلة أن أي شيء له كتلة لا يمكن أن يرجع في الزمن، أو أن يتحرك بسرعة أكبر من سرعة الضوء، ولكن هناك كيانات أخرى لا تواجه أي مشكلة في اختراق الوقت، وهذا هو السر الرياضي الذي تسعى له البشرية، بداية من عصر بناة الأهرام وإلى اليوم، علماء يبحثون عن سر العين الثالثة، مجموعة من أرقام ورموز تعطي طاقة تسمح للإنسان بالتحول لكيان آخر، شيء مثل خروج للروح من الجسد وتجاوزها حدود الزمان والمكان، انظر إلى هذا،

وقام برسم مثلثين متجاورين ثم أضاف:

- هذان المثلثان، لهما طول وعرض، لكن ليس لهما ارتفاع لأنهما ثنائيا الأبعاد، مجرد بعدين لا ثالث لهما، فإن افترضنا أن هذين المثلثين لهما وعي وقدرة على الإبصار، لن يكون في إمكانهما رؤية البعد الثالث، الارتفاع، لأن ليس لهما وجود فيه، ولا قدرة على إدراكه، ولكن إن استطاع هذا المثلث بطريقة ما أن يتحرر من هذه اللوحة والارتفاع لأعلى، حينها سيتمكن من رؤية عالم لم يكن يتخيله، وهذا يشبه الزمن بالنسبة لنا، بعدنا الرابع. يقال أن أنواع من الجان والملائكة يمكنها الانتقال عبر هذا البعد، ونسمي هذه الكيانات بالكائنات الفوقية، فإن كنت ترى أنت عقارب الساعة تدور في دائرة مغلقة، فهذه الكيانات تراها تدور في شكل اسطواني، يمكنهم التحرك فيه للأمام وللخلف، يعتقد القدماء أن باستخدام بعض الأرقام والأشكال الهندسية يمكن التحكم في هذه القدرة، ولكن حتى اليوم ليس هناك من يمكنه اختراق جدار الحاضر، وإن حدث فيكون في حدود ضيقة جدًا.

- وهل لهذه الكيانات قدرة على التأثير في عالمنا؟

- ليس بشكل ملموس، ولكن على هيئة طاقة، وكلما زادت قوة هذا الكيان، كلما استطاع أن يؤثر بطاقة أكبر في عالمنا، والتحكم بشكل أكبر في التنقل عبر هذه الأبعاد، لأن الأمر ليس سهلًا، بل هو محدود بعوائق عدة لا نعرفها.

وكان يشير بالسكين ويقسم كعكة باي أثناء كلامه، ثم وضع قطعته أمامه وأعطاني قطعتي، فتناولتها وجعلت أتأمل هذا العقرب المرتجف، قبل الكلام كان أمره يثير دهشتي، وبعد ما قاله أصبح يثير مخاوفي، بدأت أشعر أن هناك من يراقبني ولا أراه، لا أحب هذا

الشعور، لا أحب العودة إلى خيالات الماضي.

**- فيم تفكر؟**

سأل الخال، فانتبهت وبددت هذه الأفكار من رأسي، تذوقت الكعك وأشدت بجماله، ذكرتني الكعكة بباي، وبكلامنا عنه بالأمس، فسألته:

**- صحيح، أخبرتني أن هناك رقمان موجودان بكثافة في الطبيعة، باي وفاي. فما هو الرقم فاي، وما قصته؟**

وفكّر قليلًا وكأنه يرتب أفكاره قبل أن يجيبني:

**- للحديث عن فاي علينا أن نتكلم عن شخص يدعى فيبوناتشي، رجل عاش في العصور الوسطى، في وقت كان العرب فيه في أوج تقدمهم، وعلى يدهم تأسس علم الجبر والخوارزميات، بفضل الخوارزمي وإسهاماته في ابتكار وترجمة الكثير من المبادئ والمعادلات الرياضية، حتى أنه قام بتبسيط الأرقام وتعديلها إلى رموز جديدة ليحتوي كل رقم على عدد زوايا بقيمته.**

ثم قام بكتابة الأرقام الإنجليزية كاملة بعد أن مسح ما كان مكتوبًا، وأوضح كيف أن كل رقم يحتوي على عدد زوايا تساويه..

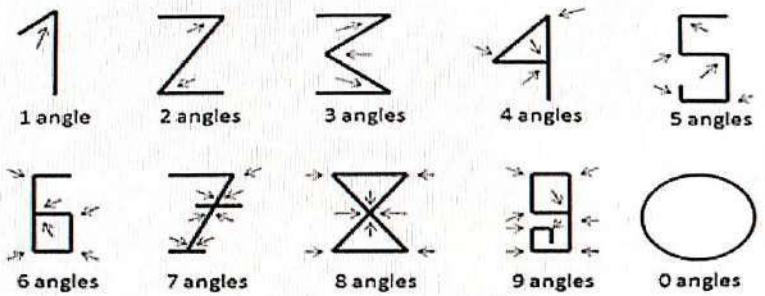


الأمر الذي أبهرني كثيرًا لأنني لم ألاحظه من قبل، ولم أعرف أن من وضعه هو الخوارزمي نفسه، والحقيقة أن الخال جبريل له طريقة في الشرح وسرد الأفكار تتفوق على عشرات

المدرسين، لأنه غير ثابت على نبرة واحدة، ولا سرعة كلام واحدة، يجيد التحكم في لغة جسده الهادئة، يجيد التحكم حتى في لحظات الصمت، ويبدو عليه حماسه الشديد، بعد أن انتهى من كتابة كل ذلك أردف:

**- هذه الأرقام هي المستخدمة حاليًا في أغلب اللغات الأوروبية، ويعود الفضل إلى ترجمة هذا العلم وتصديره إلى أوروبا هو عالم الرياضيات الإيطالي الشهير ليوناردو فيبوناتشي، كان لهذا العالم إضافات وإسهامات عدة، ومن أهمها الرقم فاي، أو النسبة الذهبية، والتي استخرجها من متسلسلة يطلق عليها متسلسلة فيبوناتشي. تبدأ هذه المتسلسلة بالرقمين ٠ و١ ثم يأتي كل رقم جديد بمجموع آخر رقمين يسبقونه**

٢=١+٠

٢=١+١

٣=١+٢

٥=٢+٣

٨=٣+٥

١٣=٥+٨

لتصبح المتوالية على هذا التسلسل.

٠, ١, ١, ٢, ٣, ٥, ٨, ١٣, ٢١, ٣٤, ٥٥, ٨٩, ١٤٤,...

وتستمر في التصاعد، وبقسمة آخر رقمين أو أي رقمين متتالين فيها نحصل على النسبة الذهبية ١.٦١٨ وكلما تقدمنا بالأرقام، كلما حصلنا على هذه النسبة بدقة أكبر، فهي مثل باي يمكن حساب قيمتها إلى أعداد غير نهائية بعد العلامة، وتساوي تقريبا ١.٦١٨٠٣، والأكيد أن فيبوناتشي أعاد اكتشاف هذه الأرقام ولم يبتكرها، لأنها تظهر بوضوح في تصميمات العديد

من المعابد القديمة في مختلف الحضارات، وبلا شك لها وجود قوي في تصميم الأهرامات المصرية، ولكن المثير للاهتمام أنها تظهر متجلية في أغلب الكائنات الحية، كأنها نسبة المهندس الأعظم المفضلة في تصميم الكون.

**- كيف؟!**

كأنه يعرف أنني كنت على وشك أن أسأل، أخرج ورقة رسم هندسي مليئة بمربعات صغيرة، وقام برسم مجموعة مربعات متجاورة، بدأ بمربعين صغيرين، وكل مربع جديد يجمع بين ضلعي المربعين السابقين، فعل ذلك مرات عدة، فتكون في النهاية مستطيلًا عرضه إلى طوله يساوي النسبة الذهبية، ثم داخل هذا المستطيل بدأ برسم منحنى من المربع الأصغر يتدرج في نموه نحو كل مربع أكبر يمر به، ليخرج في النهاية شكل يشبه دوامة أو قوقع حلزوني.

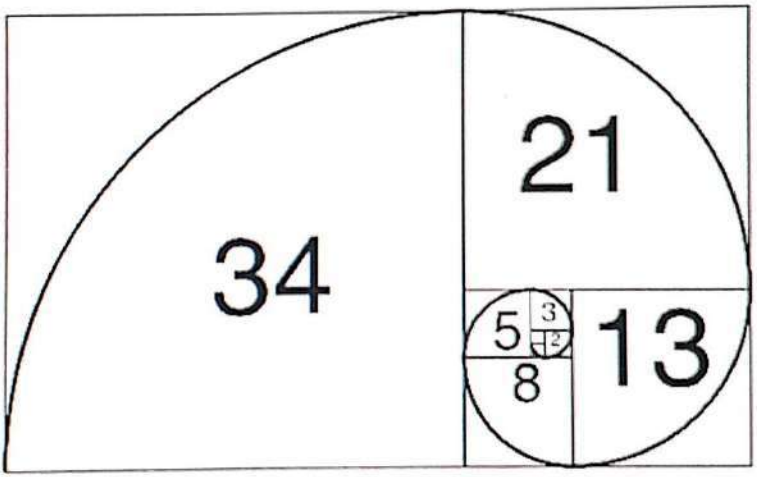


**- الغريب أن هذه النسبة تتجلى بوضوح في الطبيعة بمختلف أشكالها، المجرات، الحلزونات، أنواع من الأزهار والصبار ومختلف النباتات، في الأعاصير والدوامات، في تشكيل الحمض النووي، وفي وجوه أغلب الحيوانات والكائنات الحية، في ذيل حصان البحر، وفي شكل الجنين وطريقة تكوينه، وحتى في جسم الإنسان، في النسبة بين أطرافه وأصابعه، في ملامح وجهه، وفي منحنى أذنه. مثل هذه اللوحة لدافنشي.**

وأشار إلى لوحة الرجل الفيتروفي الشهيرة لدافنشي والمعلقة في هذا المكان مذ رايته، وأردف:

**- لم يكن دافنشي مجرد رسام، كان عالم رياضيات عبقري، وأدرك جيدًا وجود هذه النسبة في الطبيعة بوضوح، وعلاقتها بالجمال، فاستخدمها في أغلب لوحاته، وعبّر عن وجودها في جسد الإنسان بهذه اللوحة، حتى القدماء استخدموها في تصاميمهم، ولا سيما الأهرامات، والآن هي تدرّس في معاهد التصوير والتصميم كنسبة للتناسق، ولها استخدامات عدة في تصميمات الديكور وشعارات الشركات وتصاميم السيارات الأنيقة وغيرها، حيث إذا وجدت هذه النسبة، وجد التناسق. ولكن لماذا؟ لا أحد يعرف، ربما لأنها نفسها موجودة فينا وفي تكويننا.**

بدت على ملامحي الدهشة من كلامه، كلما جلست مع هذا الرجل اتضح لي أني لا أعرف شيئًا عن العالم، لأن معرفتي كانت مقتصرة على ما كنت أدرسه، لم أكن قارئًا أو باحثًا في أكثر مما تخصصت فيه، ورغم أنه يتكلم تقريبًا فيما أتخصص، إلا أن ليس لدي فكرة عن أغلب ما يقوله، أو ربما قشور طفيفة، فهل المشكلة في؟ أم في النظام الذي تعلمت به؟ الغريب أنني كلما عرفت أكثر، كلما أدركت أكثر أنني لا أعرف، وكأن نفوري من العلم كان من جهلي به، وكل معلومة يقولها تجعلني أكثر نهمًا للمعرفة، كان الشغف يسيطر عليّ متضورًا للمزيد، وسألته:

**- وما علاقة هذا الرقم وباي بمعادلتك التي قلت عنها؟**

لمّا سألت رفع حاجبيه وعلى وجهه ابتسامة صغيرة، وكأنه أدرك أنني أحاول استدراجه ليحدثني عن اكتشافه، والحقيقة أنني أشعر بفضول كبير تجاه هذا البحث الذي قال عنه، وأجابني والكعك في فمه:

**- همم... لا تحاول أن تلهيني في الكلام، أخبرتك أنني أحب أن أحتفظ باكتشافي لنفسي، ثم أنك لست مستعدًا لاستيعابه. ربما أخبرك به في الوقت المناسب.. ولكن إن كنت تطمح للمزيد من الأحاجي الرياضية العجيبة، يمكنني أن أخبرك أحد الملاحظات التي من شأنها أن تشغل عقلك وتثير إعجابك، أو بتعبير أدق.. تثير ريبتك.**

ها هو يشعل فضولي من جديد، وكأن فضولي يحتاج إلى محفز، كنت قد التهمت الكعكة كاملة، ولمّا قال لي «انظر إلى يمينك» حسبته يقصد ما كان عليها من بقايا الكعك، فلمّا مسحتها أردف:

**- لا أقصد الكعك. انظر مرة أخرى.. علامة موجودة عند أغلب البشر. فما هي؟**

وجعلت أدقق النظر فيها، ماذا أرى! خمس أصابع، أربعة عشر مفصلًا، ماذا أيضًا؟ لا شيء مميز، على ظهر كفّي بضع عروق وتعرجات عظام، ثم نظرت إلى باطن كفي.. حينها بدت على وجهي الدهشة، لمّا رأيت الرقم العربي الذي يتجلى بين شقوقها، لابد أنّه يسأل عنه، أجبته في حماس:

**- الرقم ١٨**

قلت، وأضاف:

**- وفي يسارك؟**

**- ٨١**

**- ومجموعهم؟**

**- ٩٩**

**- أليس هذا عدد أسماء الله الحسنى في ديانتكم؟**

وبدا الإحباط على وجهي، كنت أعرف هذه المعلومة التي قالها، قرأتها في منشور قديم، حسبته سيقول شيئًا أجدد، لو كنت أعرف هذا لوفّرت حماسي واندهاشتي.. فأجبته على غير حماس:

**- نعم أعرف، وطرحهم يساوي ٦٣، وهو عمر الرسول محمد، كنت أعرفها من قبل.**

ولكن، ألست يهوديًا؟ لماذا تصدق هذا؟

- أولًا، أنا لم أنتهِ من كلامي، فالأمر أكبر وأعقد كثيرًا مما تظن، ولكن دعني أخبرك أولا أن هذا ليس له علاقة بالأديان، نحن نعتقد أن من وضع هذه الأحاجي هو ملاك الميتاترون، وهي أحاجي تتوافق مع المعرفة البشرية بمختلف ثقافاتها، ستجد من هذه المصادفات في اليهودية والمسيحية والهندوسية وغيرها، بل قد تجدها في التاريخ نفسه، فالكون بمختلف ثقافاته مليء بهذه المصادفات، لأن الميتاترون ينهل من المعرفة البشرية ويأخذ من المعلومات ما يكفي لصنع أحجية معقدة، ثم يتركها لنا لنقرأها، ونحن نمضي في البحث عما كتب للوصول إلى أكبر كم من المعرفة، لأن عند حد معين من العلم يتجلى العقل ويصبح له قدرات تفوق الخيال.

- لم أفهم بوضوح. ولكنك تستمر في قول نحن.. من أنتم.. تقصد اليهود؟

maktabbah.blogspot.com

- جماعة من الباحثين في هندسة الكون والعلوم السرية للرياضيات والطاقة. وقد حالفني الحظ أن أكون واحدًا منهم، وأن أطلع على علومهم وأسرارهم.. والآن دعني أكمل ما كنا نقوله ولا نتفرع لحوارات جانبية لا داعي لها.

رغم أني كنت أرى أن أمر هذه الجماعة السرية معلومة مدهشة أكثر من أمر الأرقام على الأكف، ولكن تركته يكمل كلامه، فأردف:

- والآن أعطني حاصل ضرب هذين الرقمين سفا.

فأخرجت الآلة على الهاتف وحسبت حاصل ضربهما «١٨ × ٨١» لم أتكلم، ولكنه كان يعرف الناتج الذي تجلى أمامي فسألني:

- هل يذكرك هذا الرقم بشيء؟

تأملته قليلًا، «١٤٥٨» لا أظن أنه يوحي بشيء، تلعثمت، ولم أخرج بعبارة واضحة، فقال محاولًا أن يساعدني:

**- تذكّر، نحن نستخدم أحجية فيها أرقام عربية، وقيم إسلامية، إذًا هذه قيمة لها علاقة بالثقافة العربية الإسلامية، فماذا تظن؟**

وتأمّلت الرقم مرة أخرى.. يبدو مألوفًا «١٤٥٨» وفجأة لمعت عيني لمّا تذكرت، أعتقد أني اقتربت من الإجابة فعلًا، حينها أردف الخال جبريل:

**- هل تذكرت في أي عام هجري نحن؟**

الآن فهمت ما يقصد، نحن في عام هجري قريب جدًا من هذا الرقم، أجبته:

**- ١٤٤٢ ولكن ما معنى هذا؟**

**- معناه أن هناك شيئًا سيحدث في هذا العام، وأن هذه إشارة تنبيهية.**

شعرت برهبة غريبة لمّا قال ذلك، ارتجف قلبي وسألته على الفور

**- إشارة إلى ماذا؟**

**- لست متأكدًا. ولكن عام ١٤٥٨ هجريًا سوف يوافق ٢٠٣٦ ميلاديا، وهناك نبوءات أخرى تدور حول هذا العام، أو الأعوام التي تليه.. وأنا رجل لا أؤمن بالصدف كما أخبرتك.**

رسمت ملامحي حيرتها، لم أحتاج إلى كلمات تعرب عما يظهر عليها، حرّكت رأسي فاغر الفاه كأنّي أسأله عن هذه النبوءات، وأجابني بهدوء كأنّه يتحدث عن شيء عادي:

**- نبوءات عن يوم القيامة!**

تبدلت قسمات وجهي، في البدء كانت دهشة، ذهولًا وحيرة، ثم بعد ذلك أنكرت، هذا الرجل يستند إلى العلم تارة، وإلى الخرافات تارة أخرى، لا أنفي شعوري ببعض الريبة، ولكنّي أعربت عن استنكاري:

- مستحيل... الله وحده يعلم الغيب.

وأجاب على سرعة البديهة:

- لكنه يعطينا علامات، ألا ترى في توافق هذه الأرقام صدفة غريبة؟

- ما الذي يجعلك متأكدًا؟

- عندي من الأدلة ما يكفي، عمومًا... نحن على بعد ١٥ عامًا فقط من هذا التاريخ، ولكي نتأكد ليس علينا إلا الانتظار.

maktabbah.blogspot.com

وبدا وجهي كينبوع تفجرت منه تعابير الحيرة، رفعت كفّي أنظر فيها، أتحقق من أن الأرقام مكتوبة عليها، وكانت واضحة جلية، على اليمين ١٨ وعلى اليسار ٨١، وبعد صمت قصير سألته وأنا لا أزال أنظر فيهما:

- وماذا يحدث إن قمنا بقسمة ٨١ على ١٨؟

- إذا حسبتها ستجد أن الناتج ٤.٥، فكّرت كثيرًا في مدلول لهذا الرقم، وأقرب الاحتمالات أن يكون هذا عمر الأرض، تقول الأبحاث أن عمر الأرض اليوم يتراوح بين ٤.٤٩ و ٤.٥٤ مليار سنة، وأنا أظن أننا إذا وصلنا إلى عام ٢٠٣٦ سيكون عمر الأرض ٤.٥ مليار سنة بالتمام والكمال، لأن هذا ما تدلل عليه المعادلة التي وضعتها.

- أهذا الاستنتاج له علاقة بمعادلتك التي أخبرتني عنها؟!

- بالطبع لا، ولكن معادلتي تدلل عليه، رغم أنها تستند إلى العلم وليست مجرد إشارات وأرقام.

لا أنكر أن هذا الحديث بقدر ما هو خيالي، وبقدر ما هو مجنون، بقدر ما هو صادم، الآن كلما رفعت كفّي سأتذكر هذا الموعد، حتى ولو كنت على يقين من عدم صحته، ستبقى هذه

الأفكار المجنونة تطاردني إلى الأبد، وأسأل نفسي هل ممكن؟ هل معقول؟ هل يصدق؟ استأذنته وطلعت إلى غرفتي، لم تكن عندي طاقة للمزيد، تزاحمت الأفكار في رأسي حتى كاد ينفجر، وطلعت على السلم مترنحًا، لاجئًا من جديد إلى هذا الفراش النحاسي، والوسادة القطنية المتحجرة، مرة أخرى أعاني من الأرق الشديد، أخرجت هاتفي وأغلقت وضع الطيران، جاءتني عشرات الرسائل أن والدي حاول الاتصال، ربما مائة مرة، وكان أول ما فعلته أن فتحت محرك البحث، ولكي أريح عقلي أجريت بحثًا بالإنجليزية وبالعربية عن «نهاية العالم ٢٠٣٦» و«يوم القيامة ٢٠٣٦» ونتيجة البحث كانت صادمة ومرعبة لأبعد الحدود، صور وأخبار من ناسا ووكالات فضاء روسية ومصادر أخرى عن كويكب عملاق متوقع أن يضرب الأرض في ١٣ أبريل من عام ٢٠٣٦ بالتحديد، اسمه «أبوفيس» ويطلق عليه لقب «كويكب يوم القيامة» يزن ٢٠ مليون طن، ويقال أنه إذا اصطدم بالأرض سيطلق قوة تفجيرية تفوق بمائة ألف مرة قوة تفجير هيروشيما، وإذا ما اصطدم بالبحر فسوف يولد موجات تسونامي كاسحة بعلو ١٧ متراً، وبسرعة ١٠٠ كلم للساعة، ولكن المخاوف الكبرى من تبعات حطامه، الذي سوف يتطاير إلى الطبقات العليا للغلاف الجوي، فيسبب شتاءً عالميًا طويلاً قد يدوم لمدة ٢ سنوات بسبب حجب الحطام لضوء الشمس!!

maktabbah.blogspot.com

أذكر أن هذا يشبه كثيرًا علامة من علامات الساعة، عن دخان عظيم يأتي من السماء فيعم الكون كله لسنوات، وأن هذه العلامة بالتحديد ذكرت لها سورة باسمها في القرآن؛ سورة الدخان، ويأتي في الآية العاشرة والحادية عشر منها ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

والغريب أن هذا الكويكب يطلق عليه لقب «كويكب يوم القيامة» وأنه سمي «أبوفيس» على اسم إله الفوضى والظلام عند قدماء المصريين، في الحقيقة أصابني الكلام بالهلع، وفكّرت هل هذا الرجل معه المزيد من الأدلة كما يزعم؟ وماذا قد تكون؟ وفجأة اهتز هاتفي ليحدث رنينًا مدويًا، الأمر الذي فزعني لدرجة أن الهاتف سقط من كفي، حاولت أن أهدئ من روعي، تناولت أنفاسي وتناولت الهاتف مرة أخرى، كان المتصل والدي، وقررت أن أرد عليه:

**- أهلًا يا أبي**

**- طاهر، بني. هل أنت بخير**

**- بخير الحمد لله. كيف حالك**

**- لست بخير. أشتاق إليك يا بني، أين أنت؟**

أصابتني القشعريرة فقط من نبرة صوته، صوت أضعفه الشجن، يظهر فيه الحزن والألم، وأجبته محاولًا أن أطمئنه:

**- لا تقلق يا أبي، أخبرتك أنني بخير، أيام قليلة وأعود إليك؟**

**- أرجوك يا ولدي، أنا بحاجة إليك، لا تقلقني أكثر من ذلك؟**

**- أنا لست صغيرًا يا أبي، لا تقلق. سأعود في الوقت المناسب.**

ثم أغلقت الهاتف، لو بقيت أكثر من ذلك لبكيت، كلها أيام وأعود له، كنت أريده أن يتحمل فراقي، وأن يقلل خوفه الزائد عليّ، ربما خوفه هذا كان سببًا في قلة أصدقائي، لأنه كان دائم الرفض أن أنزل وحدي، يبقيني إلى جانبه معظم الوقت، عند والدي عقدة تنبع من الحادث الأليم الذي تعرض له في طفولتي، قد يبرر هذا خوفه الزائد عليّ، الذي جعل مني شخصية منطوية، وجعلني ضعيف القلب خوّافًا، والآن أنا شاب جامعي في مرحلة انتقالية، ولن أدعه يورثني تلك العقدة، عليّ أن أبتعد قليلًا، عليّ أن أتعلم المبيت خارج البيت، وجعلت أستكمل بحثي الذي كنت أتصفحه، واكتشفت أن هناك بحث حديث لا يجزم بارتطام الكويكب بالأرض، أغلب الظن الكويكب سيقترب من الأرض مرة عام ٢٠٢٩ ومرة أخرى عام ٢٠٣٦ ومن شدة اقترابه سيتأثر بجاذبيتها فيسقط فيها، ولكن هذا البحث الحديث يستبعد احتمالية ارتطام الكويكب بالأرض هذا العام، ربما في عام ٢٠٦٨ وربما لا، ولكن أي التقريرين أصح؟ ماذا لو كان مجرد تقرير يهدئ من روع الناس؟ على أي حال لن يتم التأكد من ذلك حتمًا قبل عام ٢٠٢٩، ولكن ماذا لو كان الخال جبريل على حق؟ لا أعرف.. ولكنّي أرغمت نفسي على تصديق التقارير التي تستبعد احتمالية سقوطه، وحاولت أن أنام في سلام، لكن شيء آخر كان يؤرق نومي ويسلب تفكيري، شعور غريب بداخلي يتفاقم يومًا بعد يوم، شيء يخبرني أن الخال جبريل ليس هنا فقط لبيع هذا البيت، لا أعرف لماذا تأتيني تلك الشكوك، ولكنّي أظن أن هذا الرجل له سر كبير يخفيه.

# الفصل الثالث بعض الكسور لا تجبر

## (١)

مرت أيام قلائل ليس فيها شيء يذكر، ما زال حالي أنا ونورا لا سلام فيه ولا كلام، نظرات عابرة من الزعل والخجل.. ولقاءات قليلة على طاولة الطعام، زهور تفتحت وانغلقت، وشمس شرقت وغربت، وزيارات نادرة من مشترين لا يشترون، كل يوم جديد يزيد الأرق، وكل زائر جديد يزيد القلق، والأمل في البيع يبعد ويقل.

maktabbah.blogspot.com

ذهاب متكرر للجامعة لا جديد فيه، حتى حواراتي مع الخال جبريل قلت كثيرًا، أصبحت أتحجج بالمذاكرة فأنطوي في غرفة كئيبة متحجرة الفراش، مع تأخر البيع اضطررنا لخفض المبلغ المطلوب، وفكرت أن أعود لبيت طال عنه غيابي، ولكن الخال جبريل تمسك بي كثيرًا، وبشرني بزائر قادم سيشتري على الأرجح، وطلب أنه يريد أن يرافقني عند عودتي لأبي، ليسلّم عليه ويطمئنه عن غيابي، ويستعيد معرفة قديمة بينهما طواها الزمن حد النسيان، وكان مطلبًا غريبًا منه، ولكني وعدته بذلك، وجاء الزائر، وكالعادة لم يشترِ.

**«الفيلا تحتاج إلى الكثير من أعمال الترميم والصيانة المكلفة جدًا والتي ستستغرق وقتًا كبيرًا» حجة الجميع، وكأن البلد لم يعد فيها من يملك المال ولا طول البال، وعد بأنه سيفكر ويتصل لاحقًا، وكالعادة لن يتصل.**

كنا في العشرين من مارس، وغدًا يوم عيد الأم، اعتدت كل عام في مثل هذا اليوم أن أحضر هدية لأبي، فهو عندي أبًا وأمًا، أخبرت الخال جبريل، وأعطاني المال لأشتري له قميصًا جديدًا، الخال جبريل لم يبخل عليّ طوال الفترة التي قضيتها هنا، كان يترك مصروفًا في حقيبتي كل يوم ذهبت فيه إلى الجامعة، ومع ذلك لم تزل شكوكي تجاهه قائمة، هذا الرجل يخفي وراءه سرًا عظيمًا، سألته ذات يوم عن هذه المنظمة التي ينتمي إليها، فطلب أن نؤجل الكلام لوقت مناسب، هو أيضًا يشعر بالإحباط لتأخر البيع، ولكن الكلام في الرياضيات هو الموضوع الذي ينسيه كل شيء ويجعله ينخرط في الحديث، سألته ذات يوم عن العالم الرياضي أويلر، ذلك الذي ذكره بطريقة عابرة في أحد لقاءاتنا، فقال أنه واحد من أساطير

علم الرياضيات، لأنه وضع مئات المجلدات في مختلف فروعها، حتى أن تدهور حاله بصريًا لم يمنعه من استكمال مسيرته، فقد ضعف بصره وصار شبه أعمى بعينه اليمنى، ولكن ذلك لم يمنع خياله من وضع واحدة من أعظم المعادلات وأجملها على الإطلاق.

أظن أن الخال جبريل يعتبر أويلر قدوة له، فهو معجب كثيرًا بأعماله المتنوعة، خاصة تلك المعادلة التي ذكرها، فهو يشبّهها بالمعادلة التي اكتشفها هو بنفسه، قال أن كلاهما يجمع بين البساطة وبين مجموعة أرقام من المفترض أن لا علاقة مباشرة تربطهم، وعندما رسم معادلة أويلر أمامي.. اكتشفت جمالها!

$$e^{\pi . i} + 0 = 1$$

إنها بسيطة لتنظر إليها، ولكنها تحمل فكرة غير عادية، فهي تجمع بين خمسة من أهم الثوابت في عالم الرياضيات.. العدد صفر ٠، العدد واحد ١، العدد باي π، العدد أ، وأخيرًا العدد e، وبغض النظر عن القيم المتباينة لهذه الأرقام، إلا أن الجمع بينها في معادلة واحدة بهذه البساطة لهو أمر غريب، إنه كالجمع بين أنواع مختلفة من الموسيقى في معزوفة واحدة بسيطة ومتناغمة، لذلك يجمع عشاق الرياضيات كما قال الخال جبريل على أنها أجمل معادلة على الإطلاق.

وإن كانت هذه المعادلة تشبه حقًا معادلته، فربما نحن أمام معجزة رياضية جديدة، كل يوم يزيد فضولي عنها، ماذا تحسب؟ وكيف تجمع بين قيمتي باي وفاي معًا؟ لقد وعدني أن يخبرني في الوقت المناسب، ورغم أني لا أعرف ما هو مقياس الوقت المناسب بالنسبة له، لكن ليس عليّ إلا أن أنتظر.

اشتريت لوالدي قميصًا بلون السماء، بسيط تميزه خامته وحياكته وعلامة تجارية أنيقة، سيبدو متألقًا فيه، وفي صباح الحادي والعشرين نزلنا أنا والخال نحو بيت أبي، الزقاق الذي نقطن فيه ضيق قصير قليل المارة عادة، ولكن اليوم رأيت على أوله زحامًا كبيرًا، رجال ونساء يقفون على ناصيته يتطلعون إلى الداخل بحزن وأسى، يضربون كفًا على كف في مشهد لا يبشر بالخير على الإطلاق، اضطرب قلبي وأسرعت الخطى، دفعت الواقفين، ودخلت الطريق مهرولًا يتبعني الخال جبريل، لأرى هذا المشهد أمام عيني، سيارة المطافئ على الطرف الآخر من الطريق تلملم خراطيمها وترحل، وهذه شقتنا بالطابق الأول متفحمة

إثر حريق هائل، دخان يخرج من نافذة غرفتي وغرفة أبي والشرفة، ورماد أسود أكل منها كل لون وملمح، ولم يترك سوى عتمة كاحلة، رؤية غائمة، ودوار يتملكني، وكأن كل شيء يتحرك في بطء شديد، وأنا لم أزل في دهشة عاطل عن الإدراك، تتردد في أذني أصوات الواقفين من خلفي «لا حول ولا قوة إلا بالله» وأنا لم أفهم بعد.. وناديت بصوت لم يخرج من حلقي «أبي"

ترقرق الدمع من مقلتي، وجف الدم من عرقي، وبقيت متصلبًا في مكاني، أتطلع الحزن الواضح في أعين الواقفين، وفي عين الخال جبريل، وصرخت أنادي على والدي، ودفعت كل من وقف أمامي مهرولًا نحو مدخل بيتنا، فلحق بي الخال جبريل، عانقني وبكيت بين ذراعيه، ثم هويت على الأرض في منتصف الطريق، والناس من حولي يتطلعون إلينا في حزن شديد، ونظرت نظرة أخيرة نحو الدخان الأسود المتصاعد من كل نافذة فيه، ثم فقدت الإدراك نحو ظلام أسود كئيب.

هل فعلتها الرياح أم فعلها الكلب دايموند، كلب إسحاق نيوتن؟

في الحالتين اشتعلت النار في المخطوطات التي حوت على ملاحظات نيوتن وتجاربه على مدار عقود. فعلتها تلك الشمعة وأتت على المعمل ...

# (٢)

يوم.. أسبوع.. شهر.. لا أعرف كم مضى من الوقت، لا أعرف إن أمسى ليلًا أم أصبح نهارًا، إن كان صيفًا أم شتاءً، كل ما أعرفه أنني فقدت أبي، ففقدت كل شيء، عشت حياتي بلا أم، واليوم فقط أشعر بأنني أصبحت يتيمًا، قد يعيش الإنسان بلا حنان، ولكن كيف يعيش بلا ظهر وسند، البيت بلا أم يفتقر إلى الجمال والراحة، ولكنه بلا أبٍ آيل للسقوط.

لا أذكر ما حدث يوم الحريق، فقط أذكر أنني استيقظت في غرفتي بفيلا الخال جبريل، رافضًا الكلام والطعام، حتى هزل جسدي وصوتي، وبكيت حتى جف الدمع من جفني، وأصابني نعاس وخمول طوال الوقت، هذا اليوم دخلَت إليّ نورا بطعام طيب الرائحة، وكنت أنا على الفراش أجلس القرفصاء، رأسي منكسة عند ركبتي، وأذرعي تلتف بها، رفعت عيني لأري الطارق.. وقلت بصوت مبحوح:

**- لست جائعًا.**

ولكنها لم تعتنِ بما قلت، تركَت الطعام، واتجهت نحو النافذة لتفتحها

**- أنت لم تأكل منذ يومين، ثم ألا تفتح النافذة أبدًا؟ الغرفة مكتومة جدًا.**

نزحَت الستار، فانفجر النور في عيني، ورفعت كفّي متفاديًا الضوء، سقطت عيني على صحن الطعام الشهي، وأمامه نورا، على وجهها حزن شديد، شعرها مربوط خلف رأسها إلا من خصلة واحدة متدلية بلا استقامة نحو خدها، وفستان أسود مغلق على رقبتها، ضيق على صدرها وخصرها، طويل لأسفل ركبتها بقليل، نسيم الهواء اندس إلى الغرفة، ومنها إلى صدري فملأه إلى آخره، وشعرت بقلبي ينبض لأول مرة منذ أيام، فجعلت أنهج وألهث، وشعرت برغبة في البكاء كالأطفال، لم أستطع التحكم في ثنيات وجهي الذي كاد يتفجر الدمع منه، فأنزلت قدمي على الأرض، وأبقيت رأسي منكسة حتى إذا بكيت لا تراني، وشعرت بها تجلس إلى جواري، وكفّها الصغير يربت على ظهري، فلم أستطع حبس الأنين، وإذا بها تعانقني بذراعيها مثل طفل صغير، قالت:

**- إذا كنت تحبه ادع له، ولكن لا تحزن. عليك أن تمضي قدمًا.**

**- أشعر بأني السبب في موته، أنا من تركه عاجزًا وحيدًا، وهو يصعب عليه خدمة نفسه، لو لم أتركه لما حدث ذلك أبدًا.**

**- لا تقل ذلك أرجوك. ليس لك أي ذنب فيما حدث.**

اضطربت أنفاسي من شدة الحزن، صدري يلهث، شهيق قصير سريع ومتلاحق، وأنين بكاء مكتوم، ولكنها رفعت رأسي بأناملها عند ذقني، ونظرت إلى عيني الشاحبة، كانت قريبة جدًا، وأردفت بصوت خفيض:

**- طاهر، أرجوك اهدأ قليلًا.. هناك سر عليّ أن أخبرك به الآن.**

استوقفت بكائي عن دون إرادة مني، تبدّل قليل من الحزن بقليل من الدهشة، وكفكفت دمعي وسألت متحشرجًا

**- أي سر هذا!**

ولكن بغتة يدخل الخال جبريل إلى الغرفة وكأنه ظهر من العدم، فزعت نورا، وأردف الخال:

**- كنت أتمنى أن أقول له بنفسي عندما نتأكد من الخبر، حتى لا نعطيه أملًا كاذبًا، ولكنك الآن أثرت فضوله وعلينا أن نخبره.**

**- ماذا هناك؟**

قال والابتسامة على وجهه:

**- لا تقلق يا طاهر، فهو خبر جيد وليس سيء، تحقيقات الحريق ترجح أنه لم يكن هناك**

**أحد بالبيت ساعة الحريق، أي أن أباك بخير على الأرجح، ولكننا لا نعرف مكانه حتى الآن، سألنا في الأقسام والمستشفيات ولا خبر، ولكن كلها مسألة وقت ونعرف.**

نهضت من مكاني كالمجنون، ارتديت ما وقع أمامي من ملابس حتى أنزل لأبحث عنه بنفسي، حاول الخال جبريل منعي، قال أنه سأل في كل مكان وفي انتظار الأخبار من أقسام الشرطة.

**- سأسال أصدقائه وكل معارفه، لن أعود حتى أعرف مكانه.**

قلت ذلك ونزلت، غير آبه بكل ما قيل، ولا بجسدي الهزيل، ولكن أين يمكن أن أذهب؟ أهلنا أقلاء، وأصدقاؤه أقل، تركت لأقدامي العنان، وسرت كالضال على الأرصفة، كلما زرت أحدًا يشفق على حالي، سمعت الكثير من التعازي، يتصدقون علي بأموال أرفضها، وخبز لا آكله، لست هنا باحثًا عن عطف أو صدقة، أنا أبحث عن والدي، شعرت بمهانة وحزن، وسرت حتى وصلت لبيتنا، وأخذت الدرج صعودًا نحو عالم قاتم، الجدران غدت سوداء متفحمة، والأخشاب كلها متآكلة، وركام الرماد يملأ الأرض والهواء، جعلت أتحسس كل ما أكله الحريق حتى خار جسدي، وشعرت برغبة في نوم عميق، فافترشت الرماد، وأغمضت عيني.

***

## (٣)

انغلق باب بيتنا فجأة ففزعني، ووجدت نفسي واقفًا في منتصف الصالة، الجدران بيضاء كما كانت على سابق عهدها وليس هناك أي أثر للحريق، ذهبت نحو باب الشقة وحاولت أن أفتحه، ولكن المقبض ثقيل جدًا، تعلقت فيه بكامل جسدي ولم يتحرك سوى بضع مليمترات، نظرت نحو كفي متعجبًا، فرأيت لونها باهت أكاد أبصر من خلفها إن دققت النظر، وكانت مرآة قريبة في صالة بيتنا، فتوجهت نحوها ونظرت فلم أجد نفسي، بقيت مشدوهًا لوهلة، لابد أنني في حلم عجيب، حلم واضح كواقع، أشعر بكامل وعيي فيه، وأعرف حتى أنني أحلم، ثم شممت رائحة الحريق، ورأيت النار من خلفي تمشي زاحفة على سجاد الصالة، فلا تترك مقعدًا ولا ستارةً ولا بابًا إلا وتعلقت بسرعة نهمة فيه، وجعلت أعدو نحو غرفة أبي بين النيران فأشعر بحرارتها ولا أحترق، ووجدته نائمًا على فراشه لا يشعر بشيء، إلى جواره مقعده المتحرك والنار من أسفله تتعلق بطرف الفراش المتدلي، وجعلت أناديه محاولًا إيقاظه، ولكنه لا يشعر بوجودي ولا يسمعني، طقطقة النيران من الخارج تخلج مسامعي، وتسلقها لطرف الفراش يتلف أعصابي، وجعلت أعدو نحو الحمام محاولًا ملء بعض الماء لأطفئ الحريق، فكان الوعاء البلاستيكي ثقيلًا جدًا حتى أنني لم أستطع تحريكه وهو فارغ، وحاولت فتح صنبور المياه فلم أجعله يقطر، وكأنني أضعف من فأر صغير هزيل.

maktabbah.blogspot.com

صوت النيران وهي تأكل الخشب يزداد كثافة وعلوًا. ذهبت لغرفة أبي مرة أخرى محاولًا إيقاظه من جديد، ولاحظت ارتجاف الزهرية التي على طاولة الغرفة لما ارتطم ذراعي بها، ففكرت أن سقوطها على الأرض سيحدث دويًا يوقظ أبي لعله يراني، وجعلت أدفع الزهرية بكلا ذراعي، وبكل ما أوتيت من قوة كأنني أدفع شاحنة كبرى، وكانت بالفعل تتحرك من مكانها ببطء حتى سقطت على الأرض، حينها فزع أبي فاستيقظ وهو يصرخ باسمي، حسبت أنه رآني ولكن عينه كانت تتجاوزني وتنظر إلى النيران بفزع شديد، جذب كرسيه بسرعة وساعدته على ذلك بكل ما امتلكت من قوة، وجعل يدفع العجل مخترقًا النيران وأنا أدفعه من خلفه لعلني أزيد من سرعته، وفتح الباب وخرج منه نحو درج السلم، وهو لا يستطيع أن ينزل الدرج بكرسيه وحده دون مساعدة، وأنا فاقد الحيلة ولا أعرف ماذا ينوي أن يفعل، ورأيته فجأة يدفع العجلات فراح المقعد ينزل على الدرج متقافزًا متخبطًا، وأبي يرتج من فوقه حتى ارتطم بالحائط أسفل الدرج هو والمقعد وكاد يسقط من عليه، نزلت خلفه مسرعًا وساعدته على الاعتدال، ما زال هناك مرحلة أخرى من الدرج حتى يصل إلى الشارع لعله

يبلغ الجيران للمساعدة، وجعل ينظر بالأعلى نحو الحريق، وبالأسفل نحو ظلام الطريق، فلتبق هنا يا والدي، فليحترق البيت، قد تسقط ولا تستطيع النزول، ولكني أعرف أنه لن ينتظر، ليتني أستطيع منعه، وجعل يدير كرسيه نحو المرحلة الأخرى من الدرج، ثم دفعه فجعل الكرسي يرتج على الدرج وهو فوقه، ولكنه هذه المرة انقلب وسقط من عليه، وجعل يتدحرج نزولًا حتى خرج من باب البيت ملقى على الأرض في منتصف الزقاق فاقدًا للوعي، ونزلت واقفًا إلى جواره والفزع يملأني، أنادي فلا يسمعني أحد، الليل قاتم، ودخان الحريق لا يظهر بكثافة بعد، لسوء الحظ بيتنا من طابق واحد، والبيت المقابل مهجور نصف متهدم منذ يوم ولادتي، وزقاقنا قليل المارة قليل السكان.

وقفت لدقائق طالت حتى مرت سيارة بها شابين من الشارع الكبير الذي يتفرع منه زقاقنا، ولحسن الحظ أحدهم لاحظ جسد والدي الملقى في منتصف الزقاق، فرجعت السيارة بظهرها ووقفت على أول الطريق، ونزل الشابان مسرعين يتفقدان جسد والدي ويقيسان النبض، وهم لا يشعرون بوجودي على الإطلاق، ولكنهما يقرران حمله إلى أقرب مشفى، يحملانه سويًا ويدخلانه إلى السيارة وينطلقان، لم أستطع أن أفتح باب السيارة لأركب معهم ولا أن ألحق بهم، ونظرت نحو البيت فرأيت النيران تأكل النوافذ متصاعدة، ثم رأيت ظل رجل يقف بعيدًا يتفرج ولا يتحرك، اقتربت منه متطلعًا إلى ملامحه فرأيت أنه الخال جبريل، كنت أعرف أنه لا يراني مثل أبي والشابين، ولكن لما اقتربت منه استشعر وجودي، عقد حاجبيه ونظر باتجاهي مباشرة، وقال:

- طاهر.

***

# (٤)

**- طاهر.**

استيقظت من نومي مذعورًا، مرتعد القلب متعرق الجسد، ووجدت نفسي في آخر مكان نمت فيه والرماد من حولي، ورأيت الخال أمامي يناديني، فقلت له وأنا أنهض بفزع بالغ:

**- رأيت الحريق، أقسم أنني رأيت الحريق أثناء نومي.**

**- بالطبع عليك أن تحلم بالحريق، أنت نائم وسط الرماد، قم يا بني لتنام في مكان مريح، ما الذي أتى بك إلى هنا؟!**

**- ليس حلمًا. أشعر أنني كنت هنا بروحي، وأن والدي فعلًا لم يكن بالبيت أثناء الحريق، لقد سقط من على السلم، وهناك شابان حملاه بسيارتهم إلى مشفى قريب.**

**- إن كان ذلك فعلى الشابين أن يبلغا على المكان الذي وجداه فيه، وأن يأتيا مرة أخرى ليبلغا أهل المنطقة، ثم أننا سألنا في كل المستشفيات القريبة ولا خبر حتى الآن.**

**- أنا متأكد مما رأيته. والآن سأذهب لأسأل عنه.. فهل ترافقني؟**

ورافقني.. ذهبنا لأكثر من مشفى، القريب والبعيد، العام والخاص، ولكن مثل نحلة تبحث عن رحيق في الخريف، لم يكن هناك خبر عنه، وفي آخر اليوم عدنا منهكين إلى الفيلا، وبرغم أنني لم أعثر عليه، وبرغم حزني الشديد، إلا أني أعترف أن اكتئابي بعد هذا الحلم قد قل كثيرًا، لأني أصدق ما رأيته، ربما يكون مصابًا، ربما يكون في حالة خطرة، ولكنه على الأقل لم يمت إثر حريق، وهو بالتأكيد في مكان ما، وسأراه قريبًا، لمّا وصلنا الفيلا وضعنا الطعام، أكلوا وأكلت معهم، أكلت حتى امتلأت معدتي الفارغة إلى آخرها، ولكن ذلك لم يذِب الثلج من بين قسمات وجهي، حاولت نورًا أن تخرجني من حزني، وأن تطمئنني عليه، وحاول الخال جبريل، ولكن كلامهم لم يثلج قلبي، ما زال هناك شيء من القلق والخوف لم

**ولكنها رأتني فصرخت خوفًا على ابنها وأخذته، ثم حبست نفسها في غرفتها، وفي اليوم التالي استيقظت فلم أجدها، لقد سرقت ابني وهربت، بعد أسبوعين فقط من ولادته، ولم نلتق حتى يومنا هذا..**

كان يتحدث وعينه شاردة في نقطة بعيدة، كأنه يتذكر ويرى كل ما يحكيه، وشعرت بحزن وتعاطف معه، ساد صمت قصير، وقلت محاولًا أن أخفف عليه:

**- لا أعرف كيف أواسيك وأنا في نفس موقفك. أشعر بحزن مثلك. وأتمنى أن نراهم عما قريب**

**- هل تظن أنني حزين؟ بالعكس، لقد تجاوزت الحزن منذ سنوات، في البدء أصابني اكتئاب شديد، وقررت أن أعتزل كل شيء، خاصة الرياضيات، ولكن ذلك لم يدم سوى ستة أيام فقط من رحيلها، كنت أشاهد بالصدفة خطابًا مباشرًا لرئيس الولايات المتحدة وقتها (بيل كلينتون) عندما كان يتحدث عن علم الجينوم البشري، ودراسة قراءة الصفات الوراثية في الDNA، ومن ضمن خطابه قال هذه الجملة «اليوم تعلمنا اللغة التي كتب بها الإله الحياة» حينها فقط وجدت شغفي الجديد؛ علم حديث مليء بالغموض، يسهل فيه تحقيق إنجازات كبيرة.. وقريب من الشغف الذي كنت أبحث فيه طوال حياتي، اللغة التي كتب بها الإله الحياة، وبدأت دراسته بطريقة تجمع بينه وبين علم الرياضيات والمعادلات، وكانت هذه نقطة البداية للبحث الذي أرشدني في النهاية للمعادلة التي حدثتك عليها.**

في كل مرة يتحدث عن تلك المعادلة كنت أنتبه ويأكلني الفضول، أحاول أن أتصطنع أسئلة من شأنها أن تجعله يحكي عنها ولو نبذة بسيطة، ولكن هذه المرة لم أحرك ساكنًا، ما زال الحزن يجثم بين قسمات وجهي، ويفقدني أي شغف، نظر الخال جبريل نحوي وهو يلاحظ انطفاء عيني، وأردف:

**- يعني لا شيء سيجعلك تتكلم وتخرج من هذه الحالة؟**

قال ولم أجبه، فقط حركت رأسي نفيًا دون أن أنظر إليه، ولكن جملته التالية بالفعل أثارت فضولي، وجعلتني أنتبه رغم عن إرادتي لما قال:

يبدد، لم أرد أن أسمع شيئًا، فتركتهما وذهبت أجلس وحيدًا على مقعد بعيد، ولكن لم يمر وقت طويل حتى جاء الخال جبريل، جلس إلى جواري وقال:

- ذات يوم كان عندي طفل.

انتبهت له، وأردف بحزن:

- كلنا سيأتي يوم علينا ونضطر إلى التعايش مع الفقد، هذه طبيعة الدنيا، في شبابي أحببت فتاة لدرجة الجنون، كنت أراها ملكة جمال الدنيا، وكنت أعرف أنها لا تحبني ولا تراني، ولم يكن عندي أي حيلة لأن أجعلها تحبني، طوال حياتي وأنا أتلعثم أمام الجميلات. مثلك تمامًا وأنت تتحدث إلى نورا..

ارتبكت لما قالها.. تقابلت عينانا، ولكنه لم يبال بردة فعلي، وأكمل قصته:

- حسبت أن الحب يأتي بعد الزواج، فطلبت يدها من أبيها، ربما لم أكن وسيمًا أو رومانسيًا، ولكني الاختيار الأمثل بالنسبة له، من عائلة غنية في نفس طبقتها، ومعي شهادة علمية مرموقة، فكان منه أن أجبرها على زواجي، كنت أرى ذلك في عينيها، أنها لا تريدني، كنت أعرف أنها لا تحبني، وحسبت أن ذلك ستبدله الأيام، ولكن أبدًا. هل تذكر قصص الأفلام والروايات القديمة، عندما تحب الجميلة شابًا فقيرًا، ويصر أبوها أن يزوجها لآخر غني ساذج متبلد المشاعر.. كنت أنا ذلك الآخر.. ولكن الحياة تختلف عن الأفلام، لأني على عكس كل النهايات السعيدة تزوجتها، وحملت مني، وأنجبت طفلًا صغيرًا، ولكنها لم تحبني قط، وأما أنا فقد عشقت الطفل، أحببته أكثر منها، ورأيت أنه الرابط الوحيد الذي سيجعلها تتقبلني، لأنها كانت تكره كل شيء يخصني، إلا هذا الصبي، كلانا أحبه..

أنت تعرف هوسي بالأرقام والمعادلات.. في مرحلة من شبابي كنت أكثر جنونًا من ذلك.. وكنت أظن أن هذا الطفل مميز جدًا.. لأنه ولد في يوم مميز جدًا، ومع نظرة الأب لابنه وطموحه به، كنت أرى أنه سيحكم العالم، وأردت أن أعدّه على ذلك، وكنت أعرف ذلك الطقس المجنون، رسمة وضعها عالم اسمه تسلا، ويظن البعض أنها أرقام تعطي طاقة إيجابية، فرسمتها له وأشعلت من حوله الشموع لعلها تعطيه الطاقة وتباركه،

**ولكنها رأتني فصرخت خوفًا على ابنها وأخذته، ثم حبست نفسها في غرفتها، وفي اليوم التالي استيقظت فلم أجدها، لقد سرقت ابني وهربت، بعد أسبوعين فقط من ولادته، ولم نلتق حتى يومنا هذا..**

كان يتحدث وعينه شاردة في نقطة بعيدة، كأنه يتذكر ويرى كل ما يحكيه، وشعرت بحزن وتعاطف معه، ساد صمت قصير، وقلت محاولًا أن أخفف عليه:

**- لا أعرف كيف أواسيك وأنا في نفس موقفك. أشعر بحزن مثلك. وأتمنى أن نراهم عما قريب**

**- هل تظن أنني حزين؟ بالعكس، لقد تجاوزت الحزن منذ سنوات، في البدء أصابني اكتئاب شديد، وقررت أن أعتزل كل شيء، خاصة الرياضيات، ولكن ذلك لم يدم سوى ستة أيام فقط من رحيلها، كنت أشاهد بالصدفة خطابًا مباشرًا لرئيس الولايات المتحدة وقتها (بيل كلينتون) عندما كان يتحدث عن علم الجينوم البشري، ودراسة قراءة الصفات الوراثية في الDNA، ومن ضمن خطابه قال هذه الجملة «اليوم تعلمنا اللغة التي كتب بها الإله الحياة» حينها فقط وجدت شغفي الجديد؛ علم حديث مليء بالغموض، يسهل فيه تحقيق إنجازات كبيرة.. وقريب من الشغف الذي كنت أبحث فيه طوال حياتي، اللغة التي كتب بها الإله الحياة، وبدأت دراسته بطريقة تجمع بينه وبين علم الرياضيات والمعادلات، وكانت هذه نقطة البداية للبحث الذي أرشدني في النهاية للمعادلة التي حدثتك عليها.**

في كل مرة يتحدث عن تلك المعادلة كنت أنتبه ويأكلني الفضول، أحاول أن أتصطنع أسئلة من شأنها أن تجعله يحكي عنها ولو نبذة بسيطة، ولكن هذه المرة لم أحرك ساكنًا، ما زال الحزن يجثم بين قسمات وجهي، ويفقدني أي شغف، نظر الخال جبريل نحوي وهو يلاحظ انطفاء عيني، وأردف:

**- يعني لا شيء سيجعلك تتكلم وتخرج من هذه الحالة؟**

قال ولم أجبه، فقط حرّكت رأسي نفيًا دون أن أنظر إليه، ولكن جملته التالية بالفعل أثارت فضولي، وجعلتني أنتبه رغم عن إرادتي لمّا قال:

- حتى ولو حدثتك الآن عن هذه المعادلة ؟

***

# (٥)

قام الخال جبريل ليحضر لوح السبورة الخشبية التي اعتاد أن يشرح لي عليها نظرياته الرياضية الغريبة، هذه المرة أخيرًا سيحدثني عن المعادلة التي طال شوقي لها، شمر كميه، وحك كفيه، وكأننا نتهيأ لمعركة كبرى، وكنت متأهبًا متسع الحدقتين يملأني الفضول والحماس لما سيقول، وبدأ حديثه بحكايته عن دراسة الجينوم البشري:

**- بدأ الأمر بأني كنت أجري أبحاثًا مختلفة عن الحمض النووي، أو الDNA لمختلف الكائنات الحية، يقال أن في الحمض النووي البشري نسبة كبيرة من الجينات النافقة، التي على الأرجح ليس لها استخدام الآن، ولكنها صفات ربما كانت عند أسلافنا، قد تكون صفات مناعية أو جسمانية أو أي شيء، وكأن الحمض النووي ليس مجرد كتاب كبير يحمل صفاتنا، بل يحمل أيضًا جزءًا من تاريخنا، لقد بدأت أولى أشكال الحياة على الأرض منذ مليارات السنين بخلية بسيطة في قاع المحيط.**

**وهناك علاقة تربط بين الأرض والحياة، لقد خلقت الحياة من مكونات الأرض، وخلق الإنسان منها، وفي هذا الحمض النووي شفرتها، إنه اللغة التي كتبت بها الحياة، وله وجود في جميع أشكالها.. وأنا لم أكن مثل سائر العلماء أحاول أن أدرس كل بصمة وراثية وما تدلل عليه من صفة عند حاملها، لقد كنت أحلل أرقام طول الحمض النووي ووزنه وعدد الصفات التي يحملها مقارنة بهذا الكائن الذي يحمله وغيرها من القيم وأسجلها، وأثناء بحثي توصلت إلى هذا الرقم العجيب.. رقم ثابت مع كل الكائنات الحية، رقم صغير جدًا يقع بين الصفر والواحد، ويساوي بالتحديد «٠.٣٤٨٥٨٦٠٤٠٧» وهذا حسب آخر قياس أجريته له هنا منذ بضع أيام فقط، لأن هذا الرقم ليس فقط ثابت مع كل الكائنات الحية، بل أنه يزداد بنسبة بسيطة جدًا كل فترة..**

ثم ظل صامتًا لفترة قصيرة، ينظر نحوي وأنظر إليه، وأتطلع إلى الرقم الذي كتبه أثناء حديثه، حسبته سيكمل كلامه.. رفعت حاجبي وحركت رأسي أسأله ماذا بعد، ولكن يبدو أنه انتهى، ولم آخذ منه سوى ابتسامة بلهاء تملأ وجهه، وهذا الرقم الذي ليس فيه أي إبهار، والذي قد لا يكون إلا جزءًا من رقم هاتفه مثلًا، فسألته بسخرية:

**- آسف ولكن ما المبهر في هذا الرقم؟!**

حينها أصابت ملامحه غضب واضح، وأجاب بصوت يملأه الدهشة:

**- المبهر! ألم تجد أي شيء مبهر؟! أقول لك أن لدينا رقمًا يزداد بمعدل ثابت وبنسبة بسيطة عشوائية كل فترة.. ومهما اختلف نوع الخلية، وتسألني أين الإبهار، ألم تتساءل متى كان هذا الرقم صفرًا؟ ألم تتساءل هل له حد أقصى؟!**

**- وماذا لو تساءلت؟!**

**- حسنًا أنا تساءلت، وأجريت العديد من التجارب على مدار سنوات، وحينها توصلت إلى معادلتي الساحرة.**

$$\phi^{٦} \times \pi \times R \oplus^{٢}_{٠} ( \phi + n )$$

وكتب هذه الرموز العجيبة أمامي مثل شفرة، لم أفهم ما تعنيه، ولكني أشعر بأنني أقف أمام شيء غريب وغير مسبوق، حسنًا.. إن كانت هذه هي المعادلة التي يقصدها، فإن رموزها حقًا تبدو غريبة وغامضة بما يكفي لإثارة الفضول، وبدت مضيئة في عيني مثل نجم ساطع، أخيرًا رأيت المعادلة، وانتظرت منه تفسيرًا لكل رمز فيها، وإضافة القيمة التي تعطيها، وهو لم ينتظر مني أن أسأل، بل أردف فور أن انتهى من كتابتها:

**- في الكتاب المقدس يقول سفر التكوين أن الله أكمل السماوات والأرض وكل جندها في ستة أيام، وتتفق على ذلك كل الأديان السماوية، وهذا الرقم له دلالة وقوة عظيمة في عملية الخلق، ولأن فاي هو رقم التضاعف والنمو، لذلك سنكتب في بداية المعادلة الرقم فاي مضاعف لأس ستة، والخطوة التالية أن نضرب هذا الرقم في العدد باي، ولتحري الدقة قررت أن أضع قيم الرقمين باي وفاي لستة أرقام بعد العلامة وليس أكثر أو اقل، إنها قوة الستة.**

كنت في أشد انتباهي شغوف بمعرفة ما الذي سنحصل عليه في النهاية، أومن في حماس متشوقًا لمعرفة ما تعنيه كل تلك الرموز، فأنا مبدأيًا لا يهمني كثيرًا لماذا وضع هذه الأرقام أو

كيف، بل يهمني ما تستنتجه، وما هو الدليل على صحته، وأردف مشيرًا إلى الرموز:

**- القيمة الثالثة التي نحتاجها هي مربع نصف قطر الأرض، لأننا سنحسب قيمة لها علاقة بكوكب الأرض، ولأن الأرض منبعْجة قليلًا وليست كروية بشكل كامل، علينا أن نحسب متوسط نصف قطرها أولًا بمعادلة بسيطة، وسنجد أن قيمته ستكون ٦٣٧١.٠٠٨٨**

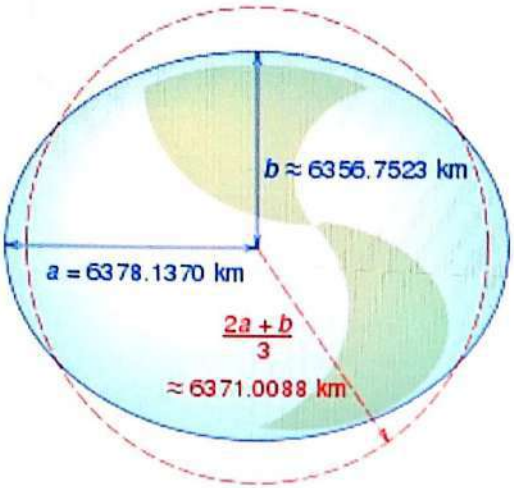


والآن نتجه لآخر خطوة في هذه المعادلة، وهي أن نضع بين قوسين مجموع قيمتي فاي ورقم الDNA الذي نرمز له هنا بالحرف n.. ليصبح شكل المعادلة في النهاية بهذه الصورة:

٦٨١.٦١٨٠٣٤ ×

٣.١٤١٥٩٢ ×

٢٨٦٣٧١.٠٠٨٨ ×

(٠.٣٤٨٥٨٦٠٤٠٧ + ١.٦١٨٠٣٤)

وإذا حسبتها ستجد أن الناتج يساوي تقريبًا ٤.٥ مليار وإذا أردت الدقة

فبدت قسمات وجهي مثل واد جاف تغلغلت فيه الدهشة كالفيضان فملأته، وأما الابتسامة على وجه الخال جبريل فكانت مثل ساحر لم تفرغ جعبته من الأحاجي، وأردف بجملته التي أحبها:

**- ولكن لم ننته بعد، فأنا لم أتوقف عند هذا الحد، حسب قياساتي لابد أن هناك حد للقيمة الخاصة بالحمض النووي يستحيل تجاوزها مهما بلغ الأمر، وهذا قد يعني توقف الحياة عن المضي قدمًا عند هذه اللحظة، ولما حاولت أن أحسب هذه القيمة وجدتها قريبة جدًا من الرقم الذي حصلت عليه «٠.٣٤٨٥٨٦٠٥٧٦» مع اختلاف بسيط في آخر ثلاث أرقام، ولكنه يؤدي إلى نتائج كبيرة، فإذا وضعنا هذا الرقم في المعادلة تخيل ما هو الناتج الذي سنحصل عليه؟**

**- ٤.٥ مليار بالضبط؟**

توقعت هذه الإجابة منه وأخبرته بها، ولكنها كانت خاطئة، وقال:

**- بل ٤.٥ مليار ويزيد عليها ٢٤ عام، أي ما يوافق تقريبًا عام ٢٠٦٠.**

**- غريب!**

**- الأغرب أن عالم الفيزياء الشهير إسحق نيوتن قد تنبأ بأن هذا العام سيشهد نهاية العالم، وهو تنبؤ غريب من عالم مثل نيوتن، وأنا حتى لا أعرف الطريقة التي توصل بها إلى هذا الرقم، ويستحيل أن يكون بنفس طريقتي، ولكن هذا التوافق بين معادلتي واستنتاجه غريب حقًا ومثير للاهتمام!**

وملأني مزيج من الدهشة والحيرة، وجعلت أحك رأسي وأتأمل الأرقام التي تملأ السبورة أمامي، وسألته بفضول:

**- كنا نتحدث عن إشارات لعام ٢٠٣٦ والآن تتحدث عن عام ٢٠٦٠ فما هو التاريخ الأصح؟**

- ربما يكون التاريخين معًا، وكأن هذا الحدث العظيم سيبدأ في ٢٠٣٦ وينتهي في ٢٠٦٠، وكأن اليوم العادي يتكون من ٢٤ ساعة، ولكن هذا اليوم سيطول إلى ٢٤ عام، اثنا عشر عامًا مظلمًا، واثنا عشر عامًا مشمسًا.

- هذا مرعب!!

- لذلك علينا أن نتأهب للحرب.

- حرب!

- نعم، لماذا تظن أننا نجري كل هذه الأشياء لدراسة الكون والتنبؤ بالمستقبل والتحكم في الطاقة والتحضير لهذا اليوم العظيم، إنها حرب كبرى إما أن نستعيد فيها حريتنا، أو أن نكمل حياتنا عبيدًا خاضعين لا طاقة لنا في قدرنا.

- ماذا تقصد؟!

- لقد أطلنا الحديث، وقد بدأت أشعر بالجوع مرة أخرى، هل تأكل معي؟

شعرت بغضب من عدم إجابته، في كل مرة هو الذي يتحكم بدفة الحوار، ولكني الآن لن أدعه ينهي كلامه عند هذه النقطة..

- لا تتهرب هكذا من الحديث، لماذا لا تخبرني الآن بما تقصده ثم تذهب لتأكل؟

- ولماذا أتهرب؟ فلنجعل كلامنا أثناء الطعام، أعدك ألا أتحدث في أي موضوع آخر قبله..

ثم قام من مكانه دون إجابة مني، فتركني غاضبًا مشدوهًا، نظرت بالصدفة أعلى السلم فإذا بنورا شاردة هناك تنظر نحوي، لما التقت عينانا ابتسمت ثم رحلت تاركة طيفها، نظرت باتجاه الخال فوجدته موليًا وجهه صوب المطبخ غير معتني بوجودي، ووجدت أقدامي

تأخذني نحوها، ابتسامتها نادتني، فطلعت الدرج مسرعًا مثل طائر انفتح له القفص فانطلق، كانت واقفة على باب غرفتها وكأنها تنتظرني، انتويت أن أصالحها ولم أحضر كلمة فتلعثمت، ولكنها لم تنتظر لتفهم ما أريد، وجدتها تسحبني من ياقتي بغتة، وتقبلني بنهم، قبلة انحبست لها أنفاسي، وتوقف لها الزمن، وذابت فيها مشاعري، وانصهر قلبي، والتقت عينانا مرة أخرى، لم أجد شيئًا لأقوله، ولم أكن أرغب في أي قول، وتلامست أصابعنا، وشعرت بورقة صغيرة في راحة كفها، وضعتها بخفة في كفي، ثم دخلت غرفتها وأغلقت بابها سريعًا، وقفت لحظات قصيرة لا أفهم أي معنى لما حدث، تبدلت نظراتي سريعًا بين الباب المغلق، وبين الورقة المطبقة في راحة كفي، ثم فتحتها مترددًا وقد حسبت أن فيها اعتراف منها بحبها لي، ولكن ما هو مكتوب في هذه الورقة الضئيلة أبعد ما يكون عن احتمالاتي، كانت هذه الجملة القصيرة، والصادمة لأبعد الحدود «**جبريل ليس خالك، ولا والدي، ولا اسمه جبريل**»

***

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

## (٦)

**الإسكندرية ١٩٩٨**

**زيزينيا - متحف المجوهرات**

لم أكن أعرف لمَا رأيتها أنني لن أعيش حياة عادية بعد اليوم، لم أكن أعرف أن حياتي ستنقلب عندما صوبت بصري لا إراديًا نحو عينيها الذهبيتين، خفق قلبي مثل محرك دارت رحاه من شرارة عينيها ولست أملك مكابحه..

لست إلا مرشدًا سياحيًا بمتحف المجوهرات الملكية، وكانت هي زائرة ضمن وفد من كبار الزوار، كنت أصف لهم كل قطعة في القصر وأنا أنظر إليها لا إراديًا وأطيل التأمل، أقصد الزائرة وليست المجوهرات، كانت على عكس كل الزوار منبهرة أكثر بتصميم القصر نفسه وما عليه من نقوش ورسومات تطعم السقف والجدران والنوافذ الزجاجية، لقد كان المتحف في سابق عهده قصرًا لأميرة من أميرات الأسرة العلوية، وهو قطعة معمارية في غاية الجمال، وقد أصبح ذلك البناء متحفًا لآلاف من المجوهرات والتحف الملكية النادرة لأكثر من أسرة حكمت مصر، بدءًا من محمد علي باشا وحتي الملك فاروق الأول، أغلب الأشياء هناك مرصعة بالماس والأحجار الكريمة، كل تلك الأشياء تمت مصادرتها بعد ثورة ٢٣ يوليو، آلاف القطع من الحلي الذهبي المرصع بالماس، فناجين من البلاتين والذهب، حافظة نقود ذهبية مرصعة بالماس، شطرنج من الذهب المرصع بالماس، حتى توكة الشعر ودبابيس الصدر من الذهب والبلاتين المرصع بالماس، كل شيء يلمع، وكل شيء رائع، أطباق من العقيق، أوسمة وقلادات وميداليات تذكارية، تاج الملكة فريدة، وأشياء أخرى رائعة، ولكن تلك الزائرة التي زارتني ذلك اليوم جمالها لا يضاهى، بشرة مرمرية مع فم من الياقوت الأحمر، عينان عسليتان كالعقيق الذهبي، وأظافر نقية ملساء مثل حبات اللؤلؤ، تحرك بهما قلمًا من حبر وتكتب ما أحكيه من قصص وتفاصيل حول هذه الأشياء وحول القصر نفسه، وإذا رأت ما يسرها؛ عينها كانت تتحدي الماس في لمعانه.

ولكن كيف يمكنني أن أكلمها وسط هذا الوفد الهائل الذي جاء معها؟ مجموعة من الأعيان والأثرياء، إذا اقتربت منها أمامهم فمثلها مثل أي قطعة أثرية هنا.. ستدوي الأجراس،

ويجتمع الناس، وسأخرج من هنا بركلة على مؤخرتي، أو قد تتم محاكمتي، إذا أردت الاقتراب من أي حلية هنا تحتاج إلى خطة محكمة، وكنت ألاحظ أنها مهتمة أكثر بقصة القصر وتفاصيله، لذلك لم أتحدث عنه، وجعلت أطيل الكلام عن التحف والمجوهرات، تفاصيل خاماتها وتصنيعها، وأصل قصتها وتاريخها، ولا أتطرق إلى القصر، ثم أقول أن الحديث عنه يتطلب وقتًا أكبر، وأتجنب ذلك لعدم الإطالة، فيطالعني الشغف والفضول من نافذتي عينيها الواسعتين، راهنت نفسي أن تأتي مرة أخرى، وهذه المرة ستكون وحدها، وحينها سأغرقها في التفاصيل، وتعهدت لو حدث ذلك لن أضيع الفرصة، ولم يمر يومان حتى رأيتها بالفعل، كانت أروع من المرة الأولى، لها ابتسامة ساطعة، وإطلالة مثل ماسة وردية

- هل تذكرني؟

- أذكرك.

- جئتك لتخبرني المزيد عن تاريخ هذا القصر وأميرته.

- أرى أن تفاصيل القصر تهمك أكثر من المجوهرات!

- قليلًا. أحاول أن أستوحي منه حبكة لروايتي

- أتكتبين روايات؟

- امم. لست محترفة، هذه أول تجربة لي.

- أحب الروايات. يسعدني أن أساعدك، اسمي صابر.

- نهلة داوود.

وتصافحنا، حدثتها عن تفاصيل القصر، وحدثتني عن تفاصيل قصتها، كانت قصة خيالية عن أميرة مترفة لا تشعر بارتياح، لا تشعر بأنها شخص عادي ولا في استطاعتها أن تنخرط مع الناس كأنها منهم، رغم كل البراح من حولها، لا تشعر بحرية، ورغم أمانيها المجابة، تشعر

وكأنها مكبلة بالأغلال.

لا تبدو لي الفكرة مكتملة في رأسها، ولا تبدو جديدة أو مختلفة، ولكن ما تقوله يلمسها، فتبدو حقيقية وكأنها تتحدث عن نفسها، أخبرتها تفاصيل عن القصر وعن حياة الأميرات، كل التفاصيل التي قد تلهمها وتهمها، إن أجمل القصص هي التي لا تعتمد على الخيال بشكل كامل، ولا على الواقع بشكل كامل، بل تدمج بينهما بصورة سحرية، فلا تعرف إن كان هذا الواقع خيالًا، أم أن الخيال واقع، انتهى الوقت ولم ينته الكلام، واتفقنا أن نلتقي في مكان آخر، وفي وقت آخر.

زادت اللقاءات بيننا، وزاد الود، نسيم الإسكندرية يختصر طرقًا كثيرة للعشاق، هذا الأفق الواسع للبحر على مرمى البصر، وكأنه يعطي إشارة لروحك بأن تنطلق، وأن الدنيا واسعة لتحلق فيها وتحقق أحلامك، فتجد الشوارع هنا تضج بالموسيقى والفن، وتعج بالمحبين والعشاق، وأما عن قصتي أنا ونهلة، فكنت أعرف أنني فقير، وأنها غنية، وأنني مسلم.. وعرفت أنها يهودية، لم أنفر، ولم يكن ذلك شيء له وقع الصدمة على قلبي، لأن وجودها أمامي له وقع لا يضاهيه شيء، لا شيء يُخرّم زواج فقير من غنية، ولا مسلم من يهودية، ثم أنني قد اشتريت سيارة مؤخرًا، صحيح أنها سيارة صغيرة متواضعة وعليها أقساط، ولا تضاهي سيارتها الفارهة الحمراء، ولكني لن أدعها توصلني بسيارتها، وقد اشتريت هاتفًا خلويًا وشريحة خط مثل الأثرياء، وعندي بيت صغير في الإبراهيمية ورثته من أبي، صحيح أنه بيت ذو طابق واحد ودكان لم أعثر له على مشروع بعد لأنه في زقاق ضيق قليل المارة، ولكنه ما زال بيتًا في الإبراهيمية أحد المناطق الراقية بالاسكندرية، أنا شاب جامعي متوسط الحال وعندي وظيفة مشرفة، والإسكندرية ليس بها الكثير من اليهود، فأغلبهم سافروا إلى أرض فلسطين، ولكنهم عائلة تحب مصر ويرفضون تركها، لذلك ليس أمامهم العديد من الاختيارات، وهناك احتمال كبير أن تتزوج بشاب غير يهودي، فلمَ لا يكون أنا؟!

أعطيت نفسي الأمل بهذه الطريقة، تغاضيت الواقع وأعميت عنه بصري وبصيرتي، أحببت نهلة كثيرًا، وهي أحبتني، وتعاهدنا أن نتحدى كل الصعاب معًا.

آه.. كم كنا سذّج، كم كنا أطفالًا مراهقين لا نفقه شيئًا عن هذا العالم وحقيقته، إن هذا المجتمع تسيطر عليه قوانين وأفكار صارمة يصر أصحابها أن يعذبوا من حولهم بها قبل أن يعذبوا أنفسهم، كلٌ يحب أن يسير العالم بطارة قيادته، دون الأخذ في الاعتبار برغبات

وقرارات صاحب الشأن، ترددت نهلة كثيرًا في أن تخبر أباها بشأننا، اتفقنا أن نخبره في اللحظة المناسبة وبالطريقة المناسبة، إلى أن حدث وتقدم لها شاب اسمه صامويل، لا أعرف أصله ولا من أين ظهر، قالت لي أنه ثري جدًا، ودرس بأحد الجامعات الأجنبية المرموقة، شاب لا يعاب، وكان متمسكًا بنهلة كأنها آخرُ نساء الدنيا، وأبوها متمسك به كأنه آخر رجالها، قررت نهلة أن تخبر أباها بأمر علاقتنا، فحدث ما توقعناه ولم نعد له جيدًا، غضب ورفض رفضًا تامًا، أخذ هاتفها وكسر شريحته، حرم عليها الخروج، واستحال التواصل بيننا، في نفس هذا الوقت حدثت أشياء كثيرة زادت الأمر سوءًا لأقصى درجات التخيل، بدأت رسائل تهديد تأتيهم من جماعات تدّعي أنها إسلامية إن لم يتركوا مصر لقتلوا جميعًا، ولم أكن أعرف حتى بأمر هذه الرسائل، وبعد أيام من انقطاع اتصالنا تلقيت رسالة على هاتفي من رقم مجهول بتفاصيل مكان وموعد نلتقي فيه أنا ونهلة، وانتظرت في المكان المحدد بسيارتي، تعجبت من أنها اختارت هذه المنطقة تحديدًا وهذا الوقت المتأخر، كنا في مطلع ديسمبر، حيث الأبنية والبيوت تغلق نوافذها حتى الأسطح لتحفظ دفئها، والسحب الرمادية الحبلى بالمطر أحاطت قرص القمر حتى اختنق، وألقت مطرًا غزيرًا غسل الطرق من السائرين، وحسبت أنها لن تتمكن من المجيء بسبب المطر، ولكني انتظرت متمسكًا بخيط رفيع من الأمل.

أشعة القمر تحاول التسلل جاهدة من بين أبخرة السحب الثقيلة القاتمة، ومساحات السيارة تحاول أن تمحو المطر المتجدد بلا يأس على الزجاج، والبرق يشق السماء شقًا فيمزقها بشروخ سرعان ما تلتئم، وفجأة وجدت رجلان يدنوان مني بمعطفين أسودين طويلين ووشاحين حول رقبتهما، اقترب أحدهما من النافذة وطرق طرقتين، فتحت الزجاج قدر قبضة فقال:

- أنا من طرف نهلة، افتح لنتحدث قليلًا.

وفتحت الأقفال، ودخلا إلى السيارة يجلسان واحد إلى جواري وآخر من خلفي، نظرت للمجاور وكان الوشاح مغطيًا أنفه وفمه، فلفا خلعه وخلع غطاء المعطف من فوق رأسه تعرفت عليه، كان المدعو صامويل الذي تقدم لخطبة نهلة، أعرفه جيدًا.. رأيته أكثر من مرة يتردد على فيلا والد نهلة التي راقبتها لأيام، نظرت له مشدوهًا، وأشار إلي الرجل الذي يجلس من خلفي، وإذا بطبقة ثقيلة من مشمع بلاستيكي شفاف يلتف حول وجهي ورقبتي، امتنع الهواء عن رئتي حتى تصلبت أطرافي وتشنجت، حاولت أن أنزعه عن وجهي، أن

أخلص نفسي بضرب أحد الرجلين، ولكنه أحكم قبضته فلم أقدر على شيء، انهار جسدي، سقطت وأطرافي وخارت قواي، وأدركت أني سأفقد روحي بعد ثوان قليلة، ونظرت نظرة أخيرة إلى السماء، هجمت السحب على القمر بقسوة حتى انطوى تحتها مقتولًا، ونزفت أمطارها سيولًا، وفجأة أرخى الرجل قبضته وتركني ألفظ أنفاسًا أعادت روحًا إلى جسد منهك خائر، وسمعت صوت الجالس بجواري يقول:

**- هذا مجرد تهديد بسيط، إذا اقتربت من نهلة مرة أخرى ستفقد قدميك.**

ومع وميض البرق اختفيا من المكان، ورعدت السماء، ثم استقر المطر وغابت الغيوم، وظهر القمر المتواري شاحبًا، وعدت إلى البيت شارد الذهن مضطرب الفكر، لم أتخذ قرارًا أبدًا بأن أبتعد عنها، بل عليّ أن أحذرها من هذا المجرم المجنون الذي على وشك الزواج منها، ولم أكن أعلم أن اليوم التالي سيكون حافلًا بالأحداث أكثر من الذي يسبقه، في ظهيرة هذا اليوم ذهبت بنفسي إلى بيت أبيها وطلبت مقابلته، انتظرته كثيرًا حتى خرج، وأخبرته بتفاصيل ما حدث ليلة أمس، أردت أن أعرض عليه الرسالة التي أرسلت على هاتفي فلم أجدها، لابد أن ذلك المجنون قام بمسحها، لم يصدق أبوها حرف مما قلته، بل نعتني بالإرهابي الكاذب، وهددني بالقتل إن اقتربت مرة أخرى من ابنته، وطردني من بيته، في نفس هذا اليوم جاءني اتصال من مجهول، لم أتوقع أنها نهلة، اضطرب قلبي عند سماع صوتها، كانت تبكي، وسألتها عن حالها وأخبرتها في عجالة ما حدث بالأمس بيني وبين هذا المدعو صامويل، ولكنها لم تعقب عليه، بل ظلت تبكي وهي تخبرني عن انفجار صغير حدث اليوم أمام بيتهم بعد رحيلي ببضع ساعات، أقلقتني كثيرًا وشعرت بضيق واضطراب شديدين، سألتها عن حالها وهل تأذي أحد، ولكنها أيضًا لم تجب، بل سألت وهي تبكي «هل أنت حقًا من أرسل رسائل التهديد إلى أبي؟!» لم أفهم! وسألتها أكثر من مرة عن مقصدها وأي رسائل هذه، ولكنها لم تجب.. قالت «نحن نجهز أغراضنا وأوراقنا وسوف نسافر بعد أيام إلى إسرائيل» وانغلق الهاتف للأبد، ولم تنته أحداث اليوم على هذا الخبر، بل مع مغيب الشمس زارني أفراد من قسم الشرطة وقاموا بالقبض عليّ بتهمة الإرهاب، وقضيت في القسم أسابيع على ذمة التحقيق، ولم أسمع عن نهلة أي أخبار جديدة لأكثر من عام ونصف.

***

# (٧)

**- «جبريل ليس خالك، ولا والدي، ولا اسمه جبريل!»**

ليس هناك كلمات تصف ما شعرت به لما قرأت هذه الورقة، صدمة صلّبت جسدي مثل تمثال نحاسي، ففر فاهي، ودارت الأفكار في رأسي، هل هي مزحة؟ لا أظن. لم قد تفعل ذلك، وإن لم يكن المكتوب عبثًا، فمن يكون هذا الرجل؟ ومن تكون هي؟ وقفت أنظر للأسفل من خلف سور السلم الخشبي، وخرج الخال جبريل من المطبخ يحمل طعامه ويضعه أمامه على الطاولة بوجه تملأه السعادة، مطمئنًا واثقًا من خطوته، ومن خلفه السبورة مليئة بمعادلاته المعقدة، ترى من يكون هذا الرجل، ولم يفعل ما يفعله!! تضاعفت الحيرة والأفكار في رأسي، ووقفت عاجزًا عما قد أفعله في الخطوة التالية، هل أسأله؟ أم أجاريه وأوقعه في الكلام؟ أم أهرب فورًا؟ وإن هربت.. فأين يمكن أن أذهب؟ ولمَ أنا هنا بالتحديد؟

لو أن هناك معادلة حسابية يمكنها أن تجيبني على تساؤلاتي.. فكرة ساذجة، ولكن.. فجأة لمعت في رأسي فكرة، يا الله.. إن هناك معادلة فعلا يمكنها أن تجيب، كيف لم ألاحظ أثناء كلامه، أخرجت هاتفي سريعًا وبحثت عن تاريخ خطاب (بيل كلينتون) عن الجينوم البشري، فوجدت أنه في يوم الاثنين ٢٦/٦ لعام ٢٠٠٠ وقد قال أن زوجته أخذت ابنها وهربت وهو عنده أسبوعين، وبعد ستة أيام شاهد هذا الخطاب، أي أن ابنه ولد قبل هذا التاريخ بعشرين يومًا، في السادس من يونيه لعام ٢٠٠٠ وهو نفس يوم ميلادي!

نظرت في المرآة فوجدت شعري الذي خالطه الشيب مثله تمامًا، لأول مرة ألاحظ هذا الشبه الكبير بيني وبينه!! تسارعت ضربات قلبي، وملأني مزيج من التوتر والغضب، كان الخال جبريل يأكل على الطاولة البعيدة، فدنوت منه بخطوات هادئة، وسألته بتردد:

**- أخبرني تاريخ ميلاد ابنك الذي حدثتني عنه؟**

**- هل لاحظت الشبه بيني وبينك؟**

أجاب سؤالي بسؤال وهو يأكل دون أن يلتفت، فزاد من غضبي واشتدت نبرتي، وسألت مرة أخرى:

**- هل تذكر تاريخ ميلاد ابنك؟**

التفت بهدوء وبكفيه الشوكة والسكين، وأجاب بابتسامة هادئة:

**- أذكره جيدًا، أخبرتك أنه موعد مميز، كان في الساعة السادسة من اليوم السادس للشهر السادس من الألفية الثانية.**

أصابتني رجفة ودهشة، اتسعت عيناي وأجبته مشدوهًا:

**- وهو تاريخ ميلادي.**

**- اجلس يا طاهر.**

قال.. وأشار إلى مقعد مقابل، فجلست فاغر الفاه أسأل بفضول:

**- هل أنا ابنك؟**

**- ألم تسألني عن موضوع الحرب التي تحدثت عنها منذ بضع دقائق؟ وأنا وعدتك ألا أحدثك في شيء آخر قبلها؟**

غاضبًا ضربت بكفي على طاولة الطعام حتى اهتزت الأطباق وانقلبت المعالق، وأردفت صائحًا:

**- أجبني الآن.**

**- وإذا أخبرتك، هل أنت متأكد من أنك لن تسأل عن شيء جديد؟**

**- شيء مثل ماذا؟!**

**- انظر إلى نفسك. إن فضولك لا ينتهي، والمعرفة لا متناهية، أليست الرياضيات تشبه الحياة نفسها، بما فيها من عجائب وإثارة للفضول، بما تحمل من بساطة وتعقيد، بما فيها من لا نهائية على مستوى التصغير والتكبير، بقدر ما هي مملة وصعبة ومعقدة، بقدر ما هي ممتعة وجذابة، كل شيء يمكن أن تمثل عنه برقم، الثروة رقم، والعمر رقم، وكل رقم نحصل عليه نتطلع الوصول إلى ما يليه، كلنا كذلك، حتى أنت.. لقد تغيرت كثيرًا منذ أن جئت هنا، تمسكت بآمال عدة، المال (وأشار بذراعيه إلى البيت) والأرقام (وأشار إلى اللوح الخشبي) والجنس.**

وأشار برأسه إلى غرفة نورا، كدت أن أقاطعه وأعارضه، ولكنه أشار بكفه كي يوقفني وأردف سريعًا:

**- قبل أن تخبرني بأي شيء، وقبل أن أجيب على أي سؤال. سأعقد معك صفقة أخيرة، يمكنك أن تختار الآن بين أمرين، أن أجيبك على كل تساؤلاتك.. مهما كانت، وأن أعطيك علمًا قد يمكنك من أن تتحكم بأي شيء إن أردت، السلطة، والقوة، والثروة، أن أرضي فضولك وما تحتاج أن تعرفه عن أي شيء، ولكن مع شرط أن تمنحني نفسك، وأن تتخلى تمامًا عن حياتك القديمة بما فيها.. أو.. أن أجيبك عن سؤال واحد فقط تختاره أنت، ثم أعيدك إلى بيتك القديم، وأعيد إليك أباك وحياتك القديمة كما هي، وحينها لن تراني مرة أخرى.**

**- وهل تعرف مكان أبي؟**

أجبته هازئًا، وقال:

**- هل هذا سؤالك الواحد؟ أم أنه واحد من أسئلة عدة؟ فكّر أولًا..**

كانت ملامحه جادة، وشعرت منها بقلق ورهبة بعض الشيء، مَن هذا الرجل؟ وهل حقًا يعرف مكان أبي؟ إن كان عليّ أن أختار سؤالًا واحدًا فما هو؟ هل أسأله إن كان هو والدي أم

لا؟ وإن أجابني بنعم -وهو ما بدأت أظنه- فهل هذا يعني أنني اخترت سؤاله الواحد وسأعيش بقية حياتي مع رجل لم يكن والدي يومًا؟ أن أتخلى عن كل شيء وألا أراه مرة أخرى؟ وماذا عن أمر الحرب التي ذكرها؟ ماذا لو كانت أمرًا خطيرًا؟ وإن كان كلام نورا صحيحًا وهذا الرجل ليس أباها، فمن تكون؟ ومن يكون بالنسبة لها؟! هل هناك علم قد يمكنني من التحكم بأي شيء كما قال؟ وكما قال العالم الروسي الذي رفض تسلم الجائزة في القصة التي ذكرها لي يومًا، الكثير من الأشياء أجهلها ويأكلني فضولي تجاهها، فماذا قد يحدث لو اخترت التخلي عن حياتي القديمة؟! ألم أكن أرغب منذ البداية في التخلص منها؟ هل يمكن أن أرجع أصلًا مثلما كنت؟! حدقت في عينيه بجرأة، وأجبته في ثبات وقوة.

- أخبرني بكل شيء.

- أحسنت الاختيار يا بني، الآن تُفتح أمامك بوابات من القوة والمعرفة لن ترى لها مثيلًا، ستدرك ما تريد، وأما عن ذاتك، فقد اخترت لها طريقًا جديدًا. وعن أمر أبيك الحقيقي، فقبل أن أجيبك دعني أسألك.. ماذا تظن أنت؟

مكتبة بيت الحصريات
MAKTABBAH.BLOGSPOT.COM

وأجبته في حيرة:

- أظن. لا أعرف! هناك العديد من الأشياء التي غدت تتبدل في نظري في الأيام الأخيرة، آخر مرة رأيت فيها والدي أخبرني قصة عن الماضي، قصة أظن أنه أمدني بجزء من حقيقتها وليس الحقيقة كاملة، فإن كان هذا الجزء الصغير قد صدمني لهذه الدرجة، فكيف له أن يخبرني بها كاملة؟ والآن ألاحظ الشبه في شيب الشعر بيني وبينك، ألاحظ الفضول وحبنا للأرقام، وأما طيبتي وسذاجتي التي ورثتها عن والدي، فقد بدأت بالتلاشي، وأصبحت أقرب لك منه، أشعر أنك والدي الحقيقي، ولكني لا أعرف من أنت.

وأجاب سريعًا:

- صامويل، هذا هو اسمي الذي تقدمت به لأمك، ولكني يا بني قصة طويلة ستعرفها أكثر مع الوقت، أعيش منذ زمن طويل، ورأيت في هذه الدنيا عجائب، كنت في شبابي مهندس بناء، ضمن فريق من أفضل بنائي العالم، نمتلك الهندسة والمعادلات لنبني أعظم الكنائس والمعابد والقصور، ومن خلال الأرقام والهندسة توصلنا لحقائق كبرى عن الكون،

**أبواب العلم الإلهي، أوراق تمكننا من التحكم في أي شيء، ولو كان الشيطان نفسه، جمعنا الكتب والأوراق، وأبقينا الأمر سرًا لأنفسنا، عملنا في الخفاء سعيًا إلى تحرير الإنسان من القيود الإلهية، ولكن ما زال أمامنا وقت حتى نصل إلى ذلك.. أن نكون نحن أحرار أنفسنا والمتحكمين فيها.**

ما الذي يمكن أن يحدث في هذه اللحظة؟! لقد أخبرني أنه والدي بطريقة عابرة، هل أقول أبي وأقفز إلى أحضانه؟ هل أصدقه بهذه السهولة؟ لا زلت أشعر تجاهه بغرابة، بل يزيد نفوري منه وهو والدي أكثر منه وهو خالي، بالطبع أميل أكثر إلى والدي صابر عبد الملك، وأشعر معه بأمان وثقة أكبر، أزعجتني كذبته فقط لأنه كذب عليّ، ولكن تزعجني هذه الكذبة لاحتمال صحتها، فضّلت التغاضي عن الحديث في هذا الأمر حتى تستوعبه نفسي تدريجًا، اخترت ألّا أعقب، وسألته عن أمر آخر في كلامه الذي لم أفهم منه نقاطًا كثيرة.

**- لا أفهم. ما معنى تحرير الإنسان من القيود الإلهية؟!**

وفي ذلك الحين أعرب عن إجابته المجنونة والصادمة، فانتفضت من مكاني محتدًا لمّا أجابني:

**- أي أننا سنعلن حربًا ضد الإله نفسه، والمنتصر فيها هو الذي يهيمن على الكون ومصائره.**

كان وقعها على أذني صادمًا كصوت الرعد في نهار صيف مشمس، غاضبًا مستنكرًا قلت:

**- عن أي إله تتحدث أيها المجنون؟!**

**- الإله الذي تعرفه أنت وأعرفه أنا، سننتصر عليه وننتزع حريتنا منه، إن كنا نمتلك القوة والمعرفة التي تؤهلنا لذلك، فليس علينا إلا أن نعد جيدًا لهذه المواجهة الحتمية، وأن نستغل كل ما أتيح من وسائل المساعدة.**

**- إن الله هو خالق الكون ومدبره فكيف لمخلوق أن يتحداه ويظن نفسه غالبًا، هذا ليس مجرد كفر، هذا جنون وغباء.**

**- اجلس يا طاهر!**

قال وهو يأكل بكل برود أعصاب، غيرُ مبالٍ بما ارتسم على وجهي من حنق وغيظة، ملامحه عابثة ساخرة، وملامحي عابسة ساخطة، أجبته:

**- لن أجلس.**

**- إذا أردت أن تستوعب أمرًا عليك أن تسمع الحديث إلى آخره، تعال. اجلس هنا بجواري.**

تناولت أنفاسي، وحاولت أن أتمالك أعصابي، جلست بجواره متجهم قطوب، تزك الشوكة من يده ووضع يساره على كتفي، قال وهو يلوح بالسكين التي ما زالت بيمينه:

**- انس كل ما قيل. والآن أخبرني.. ما هي أكبر مخاوف البشر؟**

**- أي مخاوف تقصد؟!**

**- تذكر أفلام الخيال العلمي والروايات، ما هي أكبر مخاوف البشر التي يتوقعونها عن المستقبل؟**

فكّرت قليلًا.. استحضرت أفلامًا عدة.. وأجبته:

**- أن يأتي مثلًا غزو من الفضاء ويحتل أرضنا.**

**- وماذا أيضًا؟**

سأل، وبعد تفكير بسيط أظن أنني فهمت ما يرمي إليه، فأجبته بتردد:

- أن تتطور الآلات الذكية وتسيطر على العالم؟!

- جميل. ومَن صنع هذه الآلات.

أراد منّي أن أقول الإنسان، فتلعثمت في ردي وفضّلت ألا أجاريه الحوار، ولما لاحظ أنني أيقنت الإجابة أردف:

- هل أنت أذكى أم ذلك الحاسوب الصغير؟ هل تحسب مثله أو تحفظ مثله أو حتى تتعلم بنفس سرعته؟ كم عمر هذه الآلة بالنسبة لعمرنا؟!

- ولكن هذا خيال علمي.

- كل الحقائق كانت خيالًا يوم ما.

- هل هذا ما تنص عليه اليهودية؟!

- أنا لست يهوديًا، ولا أنتمي لأي ديانة، ولكني أقدس الحقيقة، وأهب حياتي كاملة لها.

- أنت تأخذ صف الشيطان.

- لو لم يعلم الشيطان إمكانية ذلك لما تحدى الخالق وجهًا لوجه.

دفعت كفه بعيدًا عن كتفي، وأضفت محتدمًا:

- أيها المعتوه!

- هذا الفكر الذي تراه معتوهًا سيصبح له أتباع ومريدين، وستكون أنت منهم عندما ترى بنفسك ما يمكن أن نفعله.

قال ذلك وهو يتناول الشوكة مرة أخرى ويكمل طعامه:

**- مستحيل أن أتبعك، حربك هذه ليست إلا معركة آخر الزمان، التي يخسر فيها أتباع الشيطان، ويفوز المؤمنون.**

**- لقد كنت تسمع أخبارك من طرف واحد يا طاهر، ولكنك الآن سوف تكتشف عالمًا جديدًا، ألم أعدك أن أخبرك بكل شيء، دعني أفتح لك آفاقًا جديدة من السحر والعلوم، وأعرفك على قدراتك الخاصة والاستثنائية، فقد ولدت وفي عينك اليمنى هبة لا يمتلكها أحد سواك.**

وعندها انتبهت له بدهشة بالغة، وتحسست عيني اليمنى من أسفل النظارة وأنا أسأله

**- أي هبة؟!**

**- هل تذكر الخيالات التي كنت تراها في صغرك؟ الأشباح والأطياف الغريبة التي لم يصدقك أحد على وجودها، لقد ولدت يا بني بعين تقدر على أن ترى عبر الأبعاد، ولكن عقلك لم يكن يفهم ما تراه، تكرار من حولك بأنها خيالات جعلته يتوقف عن ترجمتها، فأصبح لا يدخل إدراكك إلا ما تتفق عليه العينان معًا، ضاقت عينك اليمنى، وفقدت القدرة على فتحها على حدة دون أن تفتح عينك اليسرى.**

ثم ترك الشوكة وخلع النظارة عن وجهي، نظر في عيني عن كثب وأردف:

**- منذ أن جئت إلى هنا وأنا أحاول أن أنشط عقلك بالمعادلات والأرقام التي قد تنمي إدراكك لتستعيد قدرتك، ولكن يبدو أن المشكلة لن تحل هكذا، إن عينك نفسها هي التي تحتاج إلى علاج، ولا أقصد هذه العين الضيقة، بل ما يجب معالجته هي عينك الأخرى، وعلاجها في هذا.**

ورفع السكين بغتة وضربها في عيني بعزم قوته، وكأن قنبلة من الألم انفجرت في رأسي، اسودت الدنيا من حولي وسقطت فوزًا على الأرض صارخًا متقلبًا إلى أن فقدت الوعي.

# الفصل الرابع كلما زاد السالب، قلت قيمته

الفن أن تجعل من الأشياء المملة شيئًا مثيرًا للاهتمام، من مجموعة أقلام وورقة بيضاء لوحة باهظة الثمن، أو نغمة رائعة من مجرد دقات وأوتار.

## (١) نورا

يبدأ كل شيء وينتهي في ذلك اليوم الذي مر عليه زمن طويل، كانت السيارة تقطع الطريق بالسرعة القصوى، كل ما هو خلف النوافذ يتحرك في عجلة متسارعة، يختفي ويظهر في لمح البصر، أعمدة الإنارة، الخطوط على الطريق، الأشجار، ولافتات الإعلانات، لا شيء يمشي ببطء سوى السيارات السائرة في نفس وجهتنا، كم يشبه هذا الموقف حياتنا، حقيقة أننا نحن المسرعون، وليست الدنيا، فيبدو كل شيء وكأنه في عجلة من أمره، كثيرة هي الأشياء التي فاتت ولم نلاحظها، فماذا كنا نلاحق؟ مجموعة من لافتات الإعلانات! تشغلنا النهايات أكثر من اللحظة الحالية، وتشغلنا الأشياء قبل أن ننشغل بمعرفة ذاتنا.

قارنت نفسي بسائر البنات فخسرت، وقارنوا نفسهم بي فخسروا، وأيقنت متأخرًا أن الاستمتاع الحقيقي بالحياة يتطلب بالضرورة إلى القليل من التأني، يكمن الرضا في التركيز على امتلاك هبة واحدة، وليس الركض نحو كل لافتة جديدة، لا شيء يلاحقنا، فلماذا كنا نرغب وقتها في ملاحقة كل شيء؟

كنا مجموعة أصدقاء لا يبتغون إلا مزيدًا من المرح، ثلاثة شباب وبنتان، وكنت أحد هاتين البنتين، اسمي نورا، وأنا التي يملأ السيارة ضباب دخانها، وتحرك رأسها مع دقات الموسيقى الصاخبة، كلنا نتنشي في خضم سعادة زائفة، ولم يستشعر أحدنا الخطر القادم، حتى انقلبت السيارة بنا مرات تلو مرات، حادث لم أدرك تفاصيله ولا كيفية حدوثه من هول اللحظة، ولكن ما حدث بعد ذلك كان أشد هولًا وأكثر غرابة من أي شيء، أصدقائي منهم من مات ومنهم من نجا بإصابة بالغة إثر هذا الحادث الأليم، ولكن ما حدث لي لم يكن هذا ولا ذاك، لم أكن على قيد الحياة، ولا في عداد الموتى، ليس تشبيهًا كشخص تدهورت حالته النفسية أو الجسدية فقيل لا هو عائش ولا ميت، ولكني وبكل غرابة تحولت إلى شبح، أتحرك من مكان لمكان فاقدة الجسد، لا أقدر على لمس شيء ولا التأثير في شيء، لا يسمعني أحد ولا يشعر

بجودي، حسبت أنه كابوس في غفلة ستأخذ وقتها وتنتهي فور أن أصحو من هذا المنام وأسترد وعيي، ولكن الكابوس طال لأيام، ربما هي حالة خاصة من الخوارق مررت بها وسوف تنتهي، وأحكيها لكل معارفي، ولكن الأيام طالت أسابيع، والأسابيع طالت شهورًا وسنوات، وبقيت هكذا روح ضالة لا ترتاح، كم هو مؤلم أن ترى الناس ولا يراك أحد، أن تسمع وتعجز عن الكلام، أمشي هائمة في الطرقات والردهات المفتوحة، عاجزة عن فتح أو غلق أي باب أو نافذة، عاجزة عن اختراق الجدران، فإذا انغلق عليّ باب مكان حبست فيه إلى أن يفتح من جديد، قضيت فترة من حياتي أحضر أفلامًا في قاعات السينما، أقضي وقتًا في المكتبات العامة أرافق فيها القراء لأقرأ معهم ما يختارون، أحيانًا إذا أثار أحد الكتب فضولي أجلس بجواره حتى يختاره أحدهم، أحيانًا أتمنى أن يعود إليّ جسدي ولو لدقائق معدودة حتى أستكمل بضع صفحات في كتاب ما، وتعلمت أن قراءة كتاب واحد في موضوع واحد وتأمل معانيه، خير من تصفح عشرات المقتطفات في مواضيع متنوعة، راقبت شخصيات عدة وتتبعتهم، تأثرت بحياتهم وقراراتهم بأدق تفاصيلها، بكيت من أجلهم وفرحت معهم وهم أبدًا لم يشعروا بوجودي، فهمت أشياء كثيرة بالمراقبة لم أدركها أبدًا وأنا أمتلك جسدًا له القدرة على الكلام وحمل الكتب والأقلام، ولكن الشيء الذي لم أفهمه أبدًا هو لماذا تحولت إلى هذه الحالة؟ روح ضلت من جسدها في عالم واسع، لا أعرف متى تنتهي وكيف، إلى أن رأيت هذا الرجل.

***

## (٢) أفكار غير مكتملة

**- هل تراني؟!**

**- وأنتِ جميلة.**

**- ...**

**- كم هو محزن أن يكون هذا الجمال غير مرئي أنت شابة صغيرة يدور حولي ويتحسسني.**

- لماذا لا يراني أحد سواك

- لأنني لست بشرًا

- وماذا أنت؟ ملاك؟

- بل أنا طاووس الملائكة

- ما اسمك؟

- لي أسماء كثيرة لا يسعني ذكرها، ولكن لا يهم اسمي، الأهم هو ما جئت من أجله.

الإنسان لا يصدق إلا ما تراه عينه والذي يستطيع أن يعده رغم أن الحب لا يحصى.

ولكن هناك شيء واحد لا يمكن رؤيته ولا إحصائه.. إنها الروح.

والروح لا ترى، مصدر الحياة وسببها، لا تفسير لها ولا يمكن رؤيتها أو دراستها، ولكن يمكن الشعور بها، ولو نسخنا جسدًا بكل عناصره لن يحيا أبدًا دون عنصر الروح.

والروح لها طريقها المقدس بين الحياة والموت.

ولكن بعض الأرواح تضل الطريق في عالم الملائكة والشياطين، عالم البرزخ.

بعضهم يدخل إلى هذا العالم من خلال النوم وبعضهم من خلال الموت، وبعضهم من خلال عقله.

***

- كيف تفعل ذلك؟

- هبات لم أمتن لها يومًا ولم ألاحظ حتى وجودها.

- هل أنت ساحر

- عالم، والسحر علم غير مدروس

***

- لماذا لم تأخذه من صغره لمّا قتلت أمه؟

- رأيت، فتركته له. أنا لا أريد طفلًا بريئًا، أريد رجلًا واعيًا مدركًا قراراته، ليس عندي وقت لأن أطعم طفلًا وألاعبه وأداعبه حتى يكبر

- كيف عرفت بهذه القدرة التي يمتلكها

- أنا أعرف كل شيء

***

## (٣) ما كُتب في ٢٠٢٣ (الناشر)

هذه المرة لا يعلم إن كان ما يراه حقيقيًا أم هو حلمًا. لا يعلم إن كان يرى من الأساس أم أنه فقد عينه. يرى والده مرة أخرى لكنه لا يعلم إن كان قد مات ولحق به أم أن والده هو من عاد. هل هو أصلًا والده؟ يعلم أن صمويل هو والده الحقيقي. لكن ماذا عن نورا؟ هل هي ابنة خاله؟ لكن من هو خاله؟ صمويل لم يعد خاله، لا يمكن أن يكون خاله ووالده في الوقت نفسه. هل نورا حقيقية إذن؟ هل هو نفسه حقيقي؟ أم هو وهم؟

يتذكر الكثير من الأرقام، باي وفاي، مليارات السنوات، قطر الكرة الأرضية التي ليست كرة، لغة الكون السرية، يتذكر الحريق، نيوتن، واختفاء تسلا، يرى كل ذلك بعينه ... لا، ليست

عينه أو ربما هي عينه لكنه لا يدرك ذلك.

هو حائر، يحيا في عتمة ويحتاج لبعض الضياء لينير طريقه لكن يبدو أنه يفتقد الضياء ...

## (٤) ما كُتِب في ٢٠٢٣ (القراء)